رواية

ساتان

-مخطوطات ابليس-



محمد جمال

نوفا بلس للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية

الإهداء

إلى رفيقة الدرب الأبدية

إلى زوجتي / حصه بودستور

مع كل إصدار يحمل اسمي ويخرج من العتمة إلى النور، تراه عيوني كالحلم الجميل الذي لا أريد الاستيقاظ منه.

ربطتُ هذا الإحساس بإهدائي لكِ، فأنتِ أجمل حلم! بل أنتِ إلهامي وكلماتي وسطوري وأحاسيسي وجميع ما أمرُّ به عبر صفحات كتابي!

في كل مرة تضعف روحي من عواصف الحياة، بمجرد أن ألتفت وأراكِ تقفينَ معي في شدّتي قبل فرحي، أشعرُ بأنَّ الدنيا بخير، أدامَ الله دقات قلبكِ.

هذا إهدائي الخامس لكِ، هل مللتِ؟ لأنّني لم أضجر بعدا!

محمد جمال

همسة

إلى

جميع

الأهل

والأصدقاء

الذين هجروني هجراً قاسياً بلا أسباب...

أنا بخير!

عزيزي القارىء

دائماً ما يصلني سؤال متكرر من مختلف القراء، وهو: سبب توجُّهي لكتابة قصص الرعب والغموض! لن أكذب أبداً عندما أقول بأنَّني أميل إلى هذا اللون من الدراما الورقية، ولكن هناك سببٌ آخر لم أفصح عنه من قبل، منذ طفولتي وأنا أشعر بأنَّ هذا العالم يطاردني! بل عشتُه مراراً وتكراراً، ورأيتُ وسمعتُ وتعمَّقتُ في تجارب عديدة لن يصدِّقها أيٌّ كان، لا أريد أن أشرح تفاصيل حياتي، حتى لو كان فيها نوع من التشويق لمعرفة أسرار العالم الآخر، ولكنِّي قررتُ في هذا الإصدار أن أسرد مواقف حقيقية حدثت معي، ولم أجد لجميعها تفسيراً، ربطُّتها ببطل قصَّتنا الحالية.

عزيزي القارىء، إذا رأيتني أضع هذا الرمز (*) بعد فقرات معينة وبسيطة في الرواية، فثقْ تماماً بأنَّني عشتُ ما كتبتهُ حرفياً، لا تخف، ولا تقلق! فما أشعر به وأراه مراراً وتكراراً لن يصل إليك.

على الرغم من كثرة العجائب التي تمرُّ عبرَ صفحات حياتي، إلا أنني تأقلمتُ في العيش مع شخوص حكاياتي، وتكيَّفتُ مع سماع أصواتهم، ورؤيتهم بكل بساطة، صحيح بأنَّ هناك أشياء تحدث وتُفزعني حتى هذا اليوم، ولكنَّها هي نفسها التي جعلتني لا أهابُ شيئاً.

محمد جمال

يومُنا الحالي!

هنا غرفة حديثة جدرانها سوداء اللون قاتمة، رغم ضخامتها إلا أنّها تبدو خالية من الأثاث، تحتوي سريراً أحمر اللون، بغطاء أزرق مشع، والكثير من الكتب التراثية الكبيرة التي تأخذ حيّزاً في المكتبة التي تتوسط المكان. يوجد مكتبٌ فخم مصنوع من الخشب الفاخر، يجلس خلفهُ رجلٌ، صفاء بشرته غريبٌ! ومن يراها يستطيع أن يرى انعكاس وجهه عليها، شعره كثيفٌ ولونه كسواد الليل المظلم، عيونه واسعة وناعسة، ابتسامتهُ بيضاء وأسنانهُ كاللؤلؤ النادر.

أضاءَ شمعة رغم وجود إنارة في الغرفة، وأخرجَ من درج المكتب أوراق قديمة وهشَّة، أمسكَ بقلم الريشة، غمسهُ بالحبر الأسود، وبدأ يكتب الحكاية الحقيقية للمرة الأُولى في التاريخ:

- أنا أُدعى إبليس، سأكتب قصة حيَّرت الجميع منذ سنوات طويلة، سأسمّيها بالإبليسية! وهذا أقل حق بالنسبة لي، فهي في النهاية بخط يدي، لعلها تصل إلى الناس بصورتها الحقيقية، هناك الكثير من الأقاويل والحكايات التي تمَّ نَشرها من قبل المجتهدين، ولكن جميع حروفهم كانت ملطخة بكذبات الآباء والأجداد، لا توجد رواية صحيحة وكاملة لما حدثَ في الماضي، من أين سوف أبدأ؟ أنا أعيش لوحدي، ولديَّ أسبابي الخاصة في هذا! عمري الآن قد وصلَ إلى.... لا يهم، فقلبي استمرَّ في النبض لفترة طويلة! بدأت الحكاية منذ زمن مديد، وأُطلق عليها ثورة "الأحرار والسحرة السافليّين" من سيقرأ هذه الحكاية لربما يكره تفاصيلها، الحكم في النهاية للقارىء، يا منَ تقرأ هذه المخطوطات حالياً، أظهر قليلاً من الاحترام، فأنت أمام كلمات إبليس الكبير!

في يومٍ ما...

صخب شديد في المكان. عدد لا محدود له من المخلوقات التي تمشي على الأرض المحتلة، سواد دخان الحرائق يتصاعد، ويُشكل صورة مرعبة في السماء، ومن يرى هذا المنظر يظنُّ بأنها نهاية العالم!

حطام المباني منتشر بكثرة، والماء الأسود الملوث يُشكل بحيرات صغيرة في الشارع، لو كان للأرض لسانٌ؛ لقالت: كفى دماراً وخراباً.

اليوم هو اليوم الأول في تحول العالم الطبيعي، وأصبح ملكاً لجميع السحرة، قوانين غريبة وعجيبة قد وُضعت في بداية هذا الاحتلال الذي شوَّهَ طبيعة الحياة البشرية، من لا يوافق على شروطهم يصبح خادماً لهم، وهذا ما هو ملحوظ الآن.

مجموعة كبيرة من السحرة يتسوَّقون في شتى المحلات التجارية، وبالطبع لا يدفعون أيَّة نقود، لأنَّ هذه المحلات ملكٌ لمجموعة البشر الذين يرفضون أن يصبحوا سحرة، بمجرد أن ينتهوا من سلبهم أغراضهم، يكبّلون أعناقهم بالسلاسل، ويُرغمونهم على حمل أمتعتهم، بغرض الذل والإهانة!

"إن لم تصبح ساحراً، فأنتَ عدوي الأول"

مقولة أطلقها مجلس السحرة بمجرد أن وضعوا أياديهم على كل شيء، لقد جعلوا جميع السحرة يسرحون ويمرحون، أعطوهم جميع الصلاحيات، إنَّهم يستطيعون فعل كل شيء، كالاستعباد والتحكم بمصير الفئة التي تقف ضدهم وضدَّ هذا الغزو السحري!

يُلقي أحد السحرة بتعويذة كهربائية على خادمه الشخصي، الذي يحمل حاجياته المسروقة، بسبب سقوط إحدى الحقائب من يده دون قصد، وينهره دون رحمة:

"خادم غبي".

وهناك من يلقون التعاويذ على أحد المارة فقط للتسلية لا أكثر! إنَّهم ينشرون الظلم والمهانة بشكل مفجع.

فجأة، خرجَ صوت من المكيروفونات المثبَّتة في أعلى المباني:

- بيان من مجلس السحرة، أرجو الانتباه من الجميع، أيُّها الشعب الساحر المختار، إننا نستولي على كوكب الأرض يوماً بعد يوم، لن نختبئ بعد الآن. السحر سوف

يُدرِّس ويعلم لأطفالنا في المدارس والبيوت بكل وضوح، سنغير قوانين الطبيعة الغبية، أخيراً سنكون الطبيعيين، وليس كما يدَّعون بأننا شواذ على هذه الأرض.

نحن لسنا بقوم ظالمين، ولن نفعل بالآخرينَ كما فعلوا بنا، من لا يريد أن ينضمَّ إلى السحرة فهذا قراره الشخصي، ولكن لن نُكمل سَيرنا بقلب ضعيف، هناك قوانين صارمة لمن يقفون ضدنا. بعد اجتماع مطول في مجلس السحرة، تمَّ إقرار الآتي:

"يحق لجميع سكان الأرض أن يختاروا ما بين أن يصبحوا سحرة، أو يبقى حالهم كما هو عليه"

"الساحر يمتلك جميع الصلاحيات التي تخوّله فعل مايراه مناسباً في هذه الأرض"

"من حق السحرة أن يستعبدوا من لا يريدون الانضمام إلينا، إن كانت هذه رغبتهم"

"من لا يريدون الانضمام إلينا؛ سوف يدفعون ضريبة سنوية كبيرة لمجلس السحرة "

هذا ماتمَّ ذكره في الاجتماع الخاص بمجلس السحرة بكل اختصار: إن لم تكن ساحراً، فأنتَ عدوّي الأول!

انتشرت الأهازيج والصخب بين السحرة! ولاحتْ الغصَّة في عيون البشر العاديين، فهم يعلمون بأنَّهم أصبحوا عبيداً!

قلادة السافليين

ثمَّة خريطة مدفونة في أعمق الصحارى التي اندلعت فيها الحروب القديمة، جيوش كثيرة قد سالت دماء محاربيها، وأرواحٌ صعدت إلى السماء لأنَّ سيوفاً غُرزت في أعماق قلوب أصحابها، عائلات شُردت، وأطفال سُمع صدى بكائهم المرير على مدى اتّساع الأرض. زوجات فقدنَ حب حياتهنَّ، وأحلام كثيرة ماتت وولّت. عائلات من مختلف الأعراق قد شاركت في هذه الحرب، جميعهم يرددون نفس السر المكنون لدى جماعة أطلق عليهم لقب: "الأحرار"

لم يكن البشر آنذاك بهذا الشر، لأنَّ السر كان مخبَّأ بإحكام، ولكن عندما اكتشفوا أنَّ هناك قلادة سحرية، تستطيع البشرية أن تستعبد وتحكم بها الأرض، جنَّ جنونهم! حاولوا أن يتشاركوا بها مع جماعة الأحرار، ولكنْ جواب الرفض كان حاسماً. فلو تمَّ تناقل هذه القلادة من شخص إلى آخر، لدمّرتْ الكرة الأرضية بسبب اختلاف النوايا والأفكار.

استمرت الحروب لسنوات عديدة، شاركَ فيها آلاف البشر. انتصرَ الأحرار فيها بطريقة عجيبة! فالقلادة كانت قوية وسحرية، ولكنَّها من الصعب أن تؤثر على عدد كبير من الناس في نفس الوقت! استخدامها يكون فعالاً أكثر عندما يواجهُ صاحبها عدوّاً واحداً، وليس جيشاً كاملاً. فالقوة في هذه الحروب اعتمدت على التكتيكات الحربية، والسيوف المميتة، وجيش الأحرار آنذاك كان يريد تحصين ملكهم الكبير، صاحب القلادة التي قيلَ عنها يوماً ما بأنَّها مشؤومة، لأنَّها قضت على السكينة والسلام، وأظهرت جوانب مرعبة مع باقي الجيوش المتحدة. منذ قديم الزمان إلى يومنا الحالي، وجميع الحروب المندلعة بين الدول تكمن خلفها غاية واحدة، وهيَ الاستيلاء على خيرات معينة، وهذه الحرب كانت غايتُها قلادة!

لا أحدَ يستطيع أن يعرف كيف تكوَّن هذا السحر الغامض في قلادة حمراء ومثلثة! اشتُهرت بوجود عيون حقيقية متحركة في وسطها، ولكن اقتنعَ الناس بأنَّها سر من أسرار الكون الغامض! لعلَّ صاحبها قد خبَّأها لأنه لم يستطع التحكم بها! ولربما انتابهُ الرعب بسبب قوتها الهائلة.

كُتبَ على عشائر الأحرار أن يجدوها بواسطة خريطة في إحدى الأرضي البعيدة، كانوا موجودينَ فيها بسبب حربٍ شنَّتها إحدى الكتائب للاستيلاء على أراضٍ محددة. انتصروا في هذه الحرب، وزاد النصر عندما وجدَ كبير الأحرار هذه الخريطة، وسهرَ الليالي محاولاً أن يكتشف مغزاها. وصُدم عندما قرَّر اتّباع طريقها، ووجد القلادة أخيراً، ومنذ ذاك اليوم، وإلى يومنا الحالي، والقلادة تُتناقل من جيل إلى آخر،

ولكنَّها لا تخرج من عرق الأحرار.

في إحدى الغابات الكبيرة، كان سطوع القمر يبدو واضحاً جداً، يُرى انعكاسه على الأرض المتسخة بالمياه السوداء العفنة! إنَّها غابة السحرة المسماة بأرض السافليين.

سمّيتْ بهذا الاسم من قبل البشر الذين حاربوا السحرة منذ آلاف السنوات الماضية، كانوا يعاقبونهم بالرجم والموت في هذه المساحات نفسها، وعندما يريدون تعذيب أحدهم، يستخدمون نظرية –تطهير الدم– وهي باختصار شديد على النحو التالي: يتمّ تعليق الساحر على إحدى الأشجار بطريقة مقلوبة! أي رأسه باتّجاه الأرض، ورجلاه باتّجاه السماء. يعتقدون بأنَّ هذه الطريقة كافية لشعور الساحر بمرارة التعذيب، ولكي يسري دمه بالمقلوب، وينقلب سحره ضده.

منذ قديم الزمان وقوة البشر لم تكن بالهيّنة على السحرة، حتى لو كانت الكفة ترجح لصالح السحرة، بسبب القوة الخارقة التي يتمتعون بها! فالبشر يملكون حلولاً عديدة للإطاحة بهم واحداً تلو الأخر، وهذا ما شهدهُ التاريخ منذ محاكمات – سالم –(1) التي كانت تقام في أميركا.

أيضاً لا نستطيع أن ننسى بأنَّ السحرة سُجلت في سيرتهم روايات تاريخية في أوروبا، فلقد انتشرَ السحر بينهم بطريقة مريبة! وتمَّ تجريم السحر من قبل نظام الإكليروس(2) آنذاك الذي حاربَ هذه القوة السحرية الدخيلة على مجتمعات البشر، فشنقَ أتباع النظام وذبحوا جميع من يسير على طريق الشيطان.

الصراع استمرَّ إلى يومنا الحالي، صراعهم أشبه بلعبة الشطرنج، إن خسرَ الأول في أول جولة، يعاود الكرة مرة أخرى لكي يكسب الثاني.

منذ الحقبات الماضية إلى يوم الأمس، والبشر ينتصرون على السحرة في كل جولة، ولكن اليوم أصبح الوضع مختلفاً، الكفة اختارت طريق السحرة لأول مرة في التاريخ! فهذه الغابة التي استخدمها البشر لتعذيب السحرة، أصبحت مكاناً لسجنهم وتعذيبهم، استولى السحرة على هذا العالم بذكاء خبيث، أخيراً استخرجوا الفكرة الشيطانية؛ لوضع يدهم على الكرة الأرضية.

الآلاف من الناس معلّقون حالياً في هذه الغابة! بل إنهم يعذَّبون كما عَذبوا السحرة من قبل، من خلال استخدامهم لنظرية تطهير الدم نفسها! جميع الموجودين هم من حزب الأحرار، الذين حاربوا أبناء الشيطان لسنوات عديدة.

"انقلبَ السحر على الساحر" مقولة شهيرة جداً، كانت تُقال لكل شخص سيء، تجري سفينته في الاتجاه المعاكس، فيغوص في شر أعماله. ولكن هذه المقولة لا تنطبق على الأشخاص المعلقين في الغابة، فهم يسيرون على طريق الحق، ولكن جاء دورهم ليذوقوا عذاب حسرة السحرة عبر السنوات الماضية.

يدخل رجل قصير القامة إلى الغابة بوجه عابس، يمشي مختالاً فخوراً وهو يمتطي حصاناً أبيض اللون، ذيله بأكمله يشتعل بالنيران، يضع حول عنقهِ قلادة كبيرة ومثلثة، مخضّبة باللون الأحمر اللامع، تتوسطها عين لونها أسود مظلم! عيون الحصان تشعُّ احمراراً، وكأنَّه تحت تأثير تعويذة من قبل الرجل نفسه. سيد الحصان هو رئيس مجلس السحرة السيد -فالفو- الذي من خلاله استطاعَ السحرة أن يقلبوا الموازين، ويحظوا بالقوة أجمعين.

الرجل ينظر إلى الجميع نظرات علوّ واستكبار، ومن بين أسنانهِ الصفراء المقززة، تخرج ابتسامة نصر، ابتسامة انتظرها هو وأجداده عبر سنوات ضاعت هويتهم فيها، وطُمست طبيعتهم رغماً عنهم.

يرتدي عباءة سوداء طويلة جداً، مزخرفة برموز وطلاسم غريبة باللون الأحمر. وقفَ إلى جانب أحد البشر المعلقين، نظرَ إليه؛ فلمعت عيونه فرحاً. لقد كان ينظر إلى -ليو- رئيس الأحرار من معشر البشر الذين ناهضوا السحرة عبر السنوات الماضية. قال بنبرة استفزازية:

- ماذا بكَ يا ليو؟ لماذا أنتَ معلّق بهذا الشكل؟

فتحَ ليو عينيهِ، وبانَ التعب والسواد الساكن أسفلها، وقال لا مبالياً:

- ماذا تريد أيُّها الساحر القذر؟

ضحك ضحكة انتشرَ صداها في الغابة، وكأنَّ للغابة جدران:

- هل ترى الآن موقفنا المضحك؟ صحيح أنَّ هذه الدنيا دوَّارة، رغم جميع الخزعبلات التي قِيلت، والأمثال البائسة التي كانت تخرج من أفواهكم، ولكنكم صَدقتكم في هذه المقولة، فلقد دارت الدنيا عليكم، وكما كنا نُعلق في هذه الغابة، أصبحتم أنتم المُعلقون.

نظرَ إليه ليو، ولم يُردْ أن يدخل معه في نقاشات عقيمة، لأنَّه مقتنع بالهزيمة على يده.

بدأ فالفو يتجوّل على حصانه يميناً وشمالاً، إلى أن وقف جانب ليو من جديد، وقال له بنبرة جادة وحادة:

- الجميع يعلم بأننا انتصرنا عليكم، بعد سنوات قاسية في الماضي، سحابتنا أصرت على حرماننا من الأمطار! ولكنَّ قطراتها اليوم تروي ظمأنا، إنَّه المطر الأسود التي تُبعث منه رائحة الفوز، أصبح يعشقنا، ولكني لم آتِ إلى هنا كي أشمتَ بك، فأنا منتصر، وانتهت هذه الحكاية الطويلة.

نظر إليه ليو، وقال وهو متعبٌ:

- إذن، ماذا تريد مني؟

نظرَ إليه نظرة ثاقبة وحائرة:

- أريد باقي السر! فأنا أمتلك النصف الأول منه، وأعترفُ بأننا جميعاً لا نعلم ماهو باقي السر العظيم الذي خبّأتموه طوالَ هذه السنوات، ولكني أريده، وأريده بشدة أيضاً، وأعلمُ بأنَّه قيّم، ولن يكون كذلك لولا إصراركم على حفظه في مكانٍ بعيد لا نعلم تضاريسه، أريد أن أعقدَ معك اتفاقاً، وإذا وافقتَ؛ فأنا سأعاهدك بأننا سنتشارك معاً في حكم الأرض! لكل واحد منَّا جزءهُ الخاص. وإن كنتَ تريد رأيي فهذا هو العدل الذي لم يطبّقهُ أسلافك من قبل، لقد حكمتم علينا بالإعدام فقط لأننا نهوى السحر، ولكني اليوم أؤكد لك بأنني ذو قلب رؤوف وحليم، وافقني يا ليو وسوف أخلّصكَ من هلاكك المحتوم.

ضحكَ ليو بصوت عالٍ، وسعلَ بشدة، وانقلبت تدرُّجات لون وجهه إلى الأحمر الداكن، وقال:

- أنا آسف يا فالفو، ولكن هل تظنّني أحمق؟ لنفرض أنني أعطيتكَ باقي السر المكنون، هل تريدني أنْ أصدق بأنكَ لن تقتلني؟ أنتَ أخذت السر الأول، وحبستنا في هذا المكان، وحياتنا بمثابة التأمين على سلامتك، لكي تحصل على السر الآخر، وصدّقني لن تنالهُ طالما أنا حيّ. وصحيح أنَّكَ انتصرتَ، ولكنَّ العبرة بالخواتيم.

- أيَّة خواتيم تلك التي تتحدثُ عنها؟ الخواتيم أمامَنا الآن، الدنيا بأكملها تخضع لمجلس السحرة الذي أتحكَّم به! عدد غفير من السحرة يجولون في كل مكان على سطح الأرض، صحيح أنَّنا لم نحول العالم بأكمله لنا، ولكن في النهاية طابع الحياة سوف يتحول إلى السحر وفنونه، نحن المستقبل يا ليو، نحن السياسة والحكومة والفن والاقتصاد. وإن كنتَ ترفض العرض المغري التي قدّمتهُ لك، فأنت حر، كما هم البشر الذين يحيون معنا في الأرض، ويرفضون أن يكونوا سحرة، هم أحرار، وكل

شخص يتحمل مسؤولية قراراته. أنتَ بقرارك سوف تكون معلقاً إلى أن أكتشف باقي السر وأقتلك بدم بارد، وهذا الأمر لن يطول؛ لأنَّنا نقبض على مفاتيح الكرة الأرضية بأيدينا. أمَّا من يرفض الدخول إلى عالمنا السحري، فسوف يعيش كما هو! ولكنه مسلوب من حريته! كالحجر الذي لا يستطيع أن يتكلم، أو يحلم، أو يقرر أمراً ما يخصُّه. إنكم كالعبيد تحت أرجلنا، إذا قلنا: شمالاً؛ فهيهات أن تفكروا باليمين.

كان فالفو ينوي الرحيل من المكان برفقة حصانه السحري، ولكنَّ ليو فتح فمه وقال:

- انتصارك ربما يدوم، وربما ينهار في أي وقت يا ساحر، ولكني سوف أبذلُ كل مجهودي لكي أخلّص هذا العالم من شعوذتكم التي حاربناها منذ الأزل، وإن كانت هذه هي بداية المعركة، فسوف أحمل سيفي وأحاربكم، وأنت بزيارتك لي وبتهديدك، قد أهديتني ما أريد.

نظرَ إليه فالفو باستغراب، وكأنه لم يفهم مقصده، فقرَّر أن يجري بحصانه ويخرج من هذا المكان.

في الغابة ذاتها، أرضُ السافليين المشهورة بالأحداث التاريخية، التي هيهات أن تُنسى عبر السنين. كانت الشمس ساقطة بشكل عامودي، وتضرب جميع البشر المعلقين دون رحمة، قطرات العرق تسقط من جباههم على الأرض، وتختفي بصورة غريبة، وكأنَّ هذه الأرض تعرف بأنَّ من يقطنوها حالياً، لا يستحقون الوجود هنا، وضعهم الحالي كوضع العالم اليوم، الذي يسلك الطريق الخاطىء فنرى الشخص السيء يعيش حياة راغدة، بل يُمجَّد ويُكرَّم من قبل الناس، والذي تمشي خطواته في طريق الصلاح، دائماً ما يُهاجم بطريقة استفزازية! ماذا حدث لنا؟ هل هذه علامات نهاية الدنيا؟ كيف للأمور أن تتبعثر؟ والصواب لا يعُجب الخلق، وطريق الشر أصبح الهدف المنشود للبشر.

كانَ هناكَ رجلٌ معلق بجانب رئيس الأحرار -ليو- يصرخ بألم، ويتعذب من شيء ما! تارة يكون غارقاً في أحلامه، ويعيش أدق تفاصيل الكوابيس الشيطانية! وتارة ينهض من نومه ويجد أنَّه في نفس المكان، فيصرخ بطريقة هستيريّة، وكأنَّ الكوابيس تلاحقهُ في الأحلام، وفي عالمه الواقعي!

تابعَ الرجل صراخه، والتفت نحو -ليو – قائلاً:

- أريد الخلاص من هذا الهلاك! ساعدني أرجوك.

نظرَ إليه –ليو– ببرود قاتل... وقال بضجر كبير:

- أنتَ من وضعتنا في هذا المأزق يا فتى، بغلطتكَ الشنيعة سلبتَ منَّا أعزَّ ما نملك، ورجَّحتَ كفة السحرة على كفة الأحرار! لقد كلفتنا الكثير!

فتحَ الرجل فمهُ، وقال منهكاً:

" يُخلق كل ابن آدم من الطين

وحياتهم تكون مقسومة بين القسوة والحنين

يتوهُ في دواماتِ الصعاب، ويتعلم

وليتهُ يتعلّم مايزيّن من بعد الأنين".

قال هذه الجمل بحسرة، ومن ثم أكملَ:

- ليتني أستطيع تصحيح ما فعلتهُ، ليتني أحظى بفرصة جديدة تعوّض الماضي، لأجل مستقبل كلّه غيوم ممطرة، تزهر بعدها الورود الحمراء والخضراء.

لم يعلّق – ليو – على ما قالهُ، ولكنَّ الرجل أصرَّ عليه، وقال:

- أرجوك لا تُبادرني بالجفاء، وبادلْني الوفاء، أحيِني بكلماتك المطمئنة، وأنقذْني من حبال الهلاك!

أغمضَ ليو عينيهِ، وتنفَّسَ بعمق، ومن ثم قال:

- صحيح أنَّنا خلقنا لكي نخطئ ونتعلم، ولكن في بعض المرات، تكون هذه الأخطاء كارثيَّة، كغلطتك يا بنَ آدم.

دخلَ الرجل في حالة يأس أكبر من حالته الطبيعية، ولكن عادَ إليهِ بصيصٌ من الأمل، عندما سمعَ ليو يقول جملته التالية:

- ولكن ربما بعض الأخطاء من الممكن تصحيحها، لاتقلقْ؛ أظنَّ بأنَّ لديَّ فكرة، وأدعو الله من كل قلبي أن تنجح... اسمعني جيداً.

أنا رجل قد دخلتُ عقدي الرابع، يائس من حياتي! نظرات الناس وحكمهم عليّ يلاحقاني في كل مكان أذهب إليه، إنَّهم يعاقبوني على أخطاء قد حدثت في الماضي! ويتناسون بأنَّهم ربما قد فعلوا أكثر مني في حياتهم سراً، والفرق بيني وبينهم، أنني قد كُشفت.

حياتي دُمِّرتْ! لا أستطيع أن أحظى بوظيفة محترمة! يرفضونني عقاباً لي على ماضيَّ المظلم! عجباً لبعض الناس، يريدون الصلاح فينا، ويرفضون إعطاءنا فرصاً جديدة!

هل أنا مخطىء؟ نعم! هل أنا لا أستحق فرصة ثانية؟ بالتأكيد لا! أنا أستحقُّ أكثر من فرصة، لأنَّ الإنسان بطبعه يميل إلى الخطأ، فهذه فطرة في البشر. فكم من آثمٍ قد رجع إلى صوابه، فالخطأ ليس عيباً، ولكن المعيب أن تنكرهُ، وتُوهم نفسكَ بأنك تسير على المنحى الصحيح.

الساعة تشير إلى الثالثة فجراً، أسيرُ في مكان يُطلق عليه: شارع الأسواق، إنَّه مكتظ بجميع العلامات التجارية، ولكن في هذه الساعة المتأخرة، جميعهم يغلقون أبوابهم.

الظلام مخيف! وصوت الطيور الذي في العادة يكون جميلاً، يتحول الآن إلى هلوسات ووسوسات مفزعة! اقتنعتُ بشيء واحد: لو كان الإنسان يشعر بالراحة في أعماق روحه، فسيرى كل شيء في هذه الدنيا عبارة عن كتلة من الجمال. ولو كان الشخص مثلي... محطم، متمزق من الخوف، فسوف يسمع صوت الطيور الجميل، ويتخيَّلهُ نذير شؤم، سوف يهجم على صاحبهُ في أيَّة لحظة!

لمحتْ عيوني متجراً تشعُّ منه الألوان، تارة بنفسجية، وأخرى حمراء، خليط من الألوان الجاذبة للعين البشرية، استغربتُ كثيراً لأنَّه ليس مغلقاً في هذه الساعة المتأخرة، ظننتُ بأنَّ هذه الألوان لا تتوقف أبداً، حتى بعد إغلاق المكان، ولكن حالي كحال أيّ إنسان... غلبني الفضول، فسرتُ نحوه بخطوات حذرة! أريد أن أراه بوضوح.

وقفتُ أمامَ المتجر، ورأيتُ رجلاً يجول في المكان. ظننتُ أنَّهُ مفتوح، شعرتُ بشيء غريب! طاقة سحرية تجذبني كي أدخله وأعرف حكاية هذا المكان. وبالفعل دخلتُ، فاهتزَّ الجرس الموضوع أعلى الباب، محدثاً ضجيجاً بسيطاً.

المكان صغير نوعاً ما! يكتسي بألوان جميلة وساحرة! يتوسط المكان طاولة حمراء

دائرية، كراسيها عتيقة وسوداء اللون. لاحظتُ أنَّ الغبار ينتشر في المكان بطريقة مخيفة، وكأنَّ هذا المكان مهجور لعدة سنوات! التفتُّ أبحث عن الرجل الذي لمحتهُ في الخارج، صحتُ بأعلى صوتي:

- مرحباً، هل يوجد أحد هنا؟

خرجَ الرجل من الداخل، في يدهِ علبة صغيرة خضراء اللون، تشعُّ بطريقة مبهرة! إنَّه عجوز في عقده الثامن، شيبُ رأسه يدل على قسوة الحياة مع بني آدم، عيونه المتعبة تختصر تجارب الدنيا، وسهر السنين والشقاء الطويل! نظرَ إليَّ بابتسامة ودودة، وقال لي:

- أهلاً بكَ يا سيدي! لم أتوقع بأنني سوف أحظى بزيارة أحد، فأنا فتحتُ المتجر لكي أعيد ترتيبه ليس إلا.

- أنا آسف يا سيدي! ولكنّي رأيتُ الأضواء الجميلة، وأردت أن أرى المكان.

مددتُ يدي كي أصافحه بكل احترام، فرأيت عيونه تشرق كإشراقة الشمس بعد المغيب. وكأنَّ يدي لاحت لهُ كقلادة ثمينة يريد امتلاكها؛ فتركَ صندوقه الأخضر من يده، وصافحني بحرارة كبيرة قائلاً:

- تشرَّفت بَك يا سيدي! أنا أدعى – دانييل – أملكُ هذا المكان منذ سنوات طويلة، ولكني كنتُ مهاجراً إلى دولة بعيدة جداً، كبرتُ في السن وأهلكتني الدنيا، فقلتُ لنفسي: أريدُ أن أرجع إلى بداياتي في هذا المكان، وبالفعل رجعتُ. لماذا تقف يا سيدي؟ أرجوك اجلسْ، فعيونك ملهمة جداً، فيها حزن وفرح، فيها حكايا وروايات. حدّثني عن نفسك أرجوك.

جلسنا حول الطاولة وأنا منبهر من حماس العجوز نحوي! نفخَ على غطاء الطاولة، فنثرَ غباره نحو عينيَّ. أغمضتُهما بألم، وعندما فتحتُها رأيتُ بلورة تتوسط جلستنا! ذهلتُ في البداية! فأنا لم أرها من قبل، نظرتُ إليها، وحوَّلتُ نظراتي إلى العجوز، فرأيتهُ يبتسم ببراءة، فقلتُ له والوساوس تتملّكُني:

- عفواً سيدي الكريم، ولكن ماهيَ طبيعة عملك؟

نظرَ إليَّ دانييل باستغراب، وقال:

- ألم تسمع عنّي من قبل؟ أو عن عائلتي العريقة؟ إننا أشهر العرَّافين في التاريخ يا بنيَّ.

ضاقت عيوني صدمة! فقلتُ غير مصدّق:

- ولكن كيف لكَ أن تفتح متجركَ من جديد؟ ألا تخافُ من العواقب؟

بادَلني نظراتي ذاتَّها:

- أيَّة عواقب تقصد؟

نهضتُ من مكاني، وقلتُ مندهشاً من عماء بصيرته:

- في السنوات الأخيرة، السحر اختفى تماماً من عالمنا! ومن يعمل به يُعاقب من قبل الجهات المختصة.

نهضَ هو الأخر، ورُسمتْ الصدمة على ملامحه المنهكة:

- ماذا تقول يا بنيّ؟ يا إلهي... أينَ كنتُ وسط هذه التغيّرات! لماذا تغيَّر الحال؟ ولماذا تغيرت القوانين؟ فأنا شخصياً لن أستعمل ما أملكهُ في سبيل إيذاء أيَّة روح بشرية.

- أظنّ بأنك ضيّعتَني يا سيدي! لقد قلتَ لي بأنك كنتَ مهاجراً لفترة طويلة، ولكن شعرتَ لوهلة بأنَّك قد فارقتَ الدنيا، ورجعتَ إليها من جديد، كيف لم تسمع عن كل هذه التطورات الجديدة؟

خفضَ رأسه بغضب، وفجأة بدأت تُطفأ الأنوار وتُفتح مرة تلو الأُخرى، وهبت علينا رياح قوية أسقطت الكثير من أغراض المكان! إلى أن عاد السكون من جديد، ورفع رأسه وقال متحسراً:

- أنا آسف! ربما كنتُ في عداد الموتى، واستعادتني الحياة من جديد، لكن قل لي ماهي حكايتك؟ أظنَّ بأنَّ القدر قد جاء بكَ إلى هنا؛ كي أستطيع أن أساعدكَ بشيء ما!

لم أعلق على التجربة المرعبة القصيرة التي عشتُها قبل قليل، ولكنّي قررتُ أن أجلس، وأحدثهُ عن جميع أخطاء حياتي، عن عثراتي وذكرياتي، وألبوم صور سعادتي القصيرة.

كان يصغي إليَّ، وتخرج من عيونه إشارات حذر واستغراب! وعندما أنهيتُ حكايتي البائسة، قال لي:

- جميعُنا يا بنيَّ نرتكب الأخطاء، من الممكن أنَّك تماديتَ كثيراً، ولكن اطمئنّ، فأنا أستطيع أن أمنحكَ الراحة التي تريدها!

قلتُ له غير مصدق:

- حقاً؟ ولكن كيف؟

خرجَ من البلورة الدائرية بريقٌ سحري! وتجمعتْ السحب فيها، بل إنني رأيتُ أمطاراً غزيرة! ابتسمَ لي وقال:

- نعم! قلتُ لك ما سأفعله لك، سوف تجني ثماره من هذه الأمطار الساقطة! أنتَ تحتاج إلى تطهير نفسكَ! سوف أهديكَ قواي السحرية يا سيدي، وسوف تطهر روحك بها.

لم أستطع أن أجاري تفكيرهُ الغريب، فقلتُ له مستفسراً:

- ولكن كيف؟

- عملية التطهير سوف تكشفُها بنفسك. نقرَ بإصبعه بطريقة سريعة، فهبطت أمامي ورقة عتيقة جداً من سقف المكان، مع ريشة لم أرَ مثلها من قبل! ريشة عادية ولكنَّ نهايتها تبدو حادة! أجزم بأنني أستطيع قتل أحدٍ بها، قال لي بطريقة بائسة:

- إن كانَ هذا العالم يرفض السحر، فسوف أتوقف عن عملي في الحال! وأمارسه بين جدران منزلي بسريَّة، ولكني أشعر بالذل لو عملتُ هذا الشيء، لأنَّ السحر شيء جميل! إنَّه عالم تبحر به وسط تقلبات محيّرة ومبهرة، سوف أعطيكَ بعضاً من قواي السحرية إذا وقَّعتَ على هذا العقد، وسوف تجد الراحة والخلاص عندما تطهر نفسك، ولا تقلق؛ فسحري الذي سينتقل إليك سوف يزول مفعوله بمجرد أن ترجع روحك جديدة كما ولدكَ الرب.

كنتُ سأقرأ العقد، ولكنَّ اليأس الذي يعيش في أعماقي، قال لي: لا ترهق نفسكَ بذلك! فأنتَ هالكٌ لا محالة! لربما هذا العجوز لديه الطريقة المنشودة. أمسكتُ بالريشة وحاولت أن أوقّع، لكنني لم أستطع! ضحكَ العجوز بصوت عالٍ، ووقف أمامي، وأمسكَ يدي، وجرحها مستخدماً الجزء الحاد من الريشة. سقط دمي على الورقة، وبمجرد أن انتشرَ الدم، حُرقت الورقة بشكل سحري!

نظرَ إليَّ، وقال بحنان بالغ:

- سيدي العزيز، أتمنى أن تطهر روحكَ إلى الأبد.

استيقظت من نومي العميق وأنا أشعر بالضيق الشديد، كوابيس وأحلام مفزعة لم تنتهِ! وكأنَّ تاريخي المظلم لا يريد إنزال الرحمة عليَّ حتى في أكثر أوقات الراحة لي... النوم!

اسمي تياغو، أنا في القرن الرابع من عمري، حياتي عبارة عن كتاب كُتبَ بلغة غير مفهومة! كلمات غير مسموعة! وأحداث اخترتُها بنفسي، وتحمَّلت عواقبها بكل قسوة.

بالأمس قد خرجتُ من السجن الموحش. قضيتُ فيه عشرينَ سنة سوداء، نعم لقد دخلتهُ في عامي العشرين! كنتُ شاباً طائشاً، يريد تغيير العالم بريشته المتهورة. ما أجملَ الرجوع للنوم في سريري الخاص، وفي بيتي المتواضع. خلال فترة سجني، لم أذق طعم الراحة أبداً، لأني كنتُ في سجن محصن جيداً، يستخدمونه لفئة قليلة من المجرمين الذين لديهم سمعة سيئة، والذين فعلوا أشياء لن يصدقها أيُّ عقلٍ بشري! نعم للأسف، كنتُ واحداً منهم.

نهضتُ من سريري، كنتُ أنوي أن أغير ثيابي، لكي تتجدد روحي؛ فالملابس الجديدة تغّير كل ما فينا، بل كل لون نختاره، فيهِ طابع يرتبط بمزاجنا الحالي، وأحاسيسنا المختلفة. نعم، كل لون نرتديه له حكاية خاصة في تفاصيل أعماق روحنا.

توجهتُ نحو دولابي الخشبي الأسود، ولكنّي سمعتُ أصواتَ أقدام تأتي من الطابق السفلي، استغربتُ بادىء الأمر! أنا أسكن وحدي. فتحتُ باب غرفتي وتوجهتُ إلى الأسفل، فوجدتُ الهدوء يعمُّ المكان، مشيتُ بضع خطوات، وأنا أنظر إلى جميع الزوايا بحذر، فصرختُ ألماً وسقطتُ على الأرض. لقد جَرحتُ قدمي بزجاج يتناثر على الأرض. إنَّه قادم من إطار صورة موضوعة لي على إحدى الطاولات. رغم أنَّ رجلي تنزف بشدة، إلا أنني كنتُ أفكر في سبب سقوط الإطار! هذا يعني بأنَّ هناك أحد قد أسقطَ الصورة أرضاً بعمد أو دون عمد، وهذا يؤكد أنَّ أذني لم تخنّني في الدقائق السابقة، كان يوجد أحد في غرفة المعيشة، لقد سمعتُ صوت خطواته!

ضمَّدتُ جرحي العميق، ورحتُ أمشي بخطوات صعبة. فتحتُ باب منزلي، وأخذت الجريدة اليومية، وعدتُ لأجلسَ في كرسيّي المفضل. إنَّه أسود اللون، عتيق جداً، جلدهُ متماسك إلى يومنا الحالي، رغم عمره الطويل.

لم أحتج أن أتعمق في جريدة اليوم لكي أحزن بشدة، لأنَّ صورتي تظهر في

الصفحة الأُولى، وتحتها عنوان بخط كبير:

(خروج المجرم الأشهر! كيف سنعيش في سلام في وجود تياغو الماكر).

لم أستطع أن أكمل قراءة الخبر، فالعنوان وحدهُ كافٍ كي يأتي بكوابيس العالم كلها إليّ. البشر غريبون بحقّ! عندما تخطىء في أمر ما، يتناسى جميع حسناتك، ومواقفك المشرّفة، وعند ارتكاب الخطأ؛ يُذكر في جميع أحاديثهم التي تتناولك! لقد وصلنا إلى مرحلة مخيفة، الرب يغفر، فكيفَ للبشر ألّا يسامحوا؟

نكّستُ رأسي بكل خيبة، لكنّي سرعان ما رفعتهُ إثرَ سماعي صوتاً غريباً! القشعريرة دبَّت في جسدي، وشعرتُ بأنني أحضنُ نفسي خوفاً! هناك من يهمس في المكان بصوت شبه مسموع:

"احذر يا تياغو! احذر".

عينايَ تبحثان عن المصدر، ورموشهما تتراقص فزعاً! بدأتُ أسير في المنزل بخطوات حذرة، هناك إحساس قاتل يسري في دمي، شعرتُ بالفزع في كل مرة أتفحَّص فيها زاوية معينة، ولكني لم أجد شيئاً. وعندما هدأتُ قليلاً، هجمتْ عليّ موجة الرعب القادمة بسرعة أكبر! سمعتُ خلفي صوتَ أقدام تتحرك ببطء. التفتُّ ووجدتُ رجلاً متوسط الطول، يلبس رداءً أسود، يدخل عبر باب السرداب دون أن يفتحه، وكأنَّه شبح! لم أرَ وجهه، جسدي بأكمله يرتعش! وبدأتُ أفقد حواسي الخمسة. قررتُ أن أتشجع وأن ألحق به. كيف لهذا المخلوق أن يتحرك بكل سهولة وراحة في منزلي! مَن يظن نفسه؟ أو بالأصح: ماذا تكونُ نفسه؟ هل هي بشرية؟ لا أتوقع ذلك.

فتحتُ باب السرداب المظلم، ونزلتُ عبر الدرج الخشبي، وفي كل خطوة أخطوها، أسمع صوت الدرج وهو يصدر صرخات تعبّر عن سخطه! إنه مُهْتَرِئ وعتيق. وصلتُ إلى الأسفل، وأوقدتُ الولاعة الموجودة في جيبي. لم أستطع أن أتحكَّم بيدي المرتجفة، إنَّها تتراقص وهي تحمل مصدر الضوء الوحيد لي في هذا اليوم المرعب، المكان لم يتغيّر عليَّ، استخدمتهُ عبر سنوات، لكي ألقي فيه جميع الحاجيات غير الضرورية: طاولة قديمة، كراسٍ محطمة، آلة معطلة لغسل الملابس، والعديد من الصناديق التي تبتلع الخردوات.

سقطت الولاعة من يدي دون أن أشعر، مددتُ يدي ولمستُ الغبار المنتشر على الأرض، حاولتُ أن أجدها دون جدوى، كنتُ سأجري إلى الأعلى من الفزع الملعون الذي يسكن روحي. سمعتُ صوت أنفاس تغمر المكان! هناك روحٌ تحوم في المكان!

إنني أشعر بها، بحركة سريعة ومتوترة مني، وجدتُ الولاعة. وقفتُ على رجلي شبه المشلولة وأوقدتُها من جديد؛ وإذ بذلك الوجه الذي لا يظهر منه سوى عيونه البراقة! ينظر إليَّ بدهشة كبيرة، أرى وجهه بحجم عملاق، لأنه يلتصق بوجهي، سقطتُ على الأرض وأنا أصرخ، ولا أعلم بماذا ضربتُ رأسي، ولكني شعرتُ بأنني أغيبُ عن الدنيا. كنتُ أكافح كي أحافظ على يقظتي. بدأتُ أزحف كي أصعد الدرج، فشعرتُ بأنَّ هناك أحداً يتحسس أسفل جسدي. صرختُ بصوت أعلى! إنني أسمعُ صوت أنفاسه واضحاً. استجمعتُ قواي وسرعان ما نهضتُّ وصعدتُ إلى الأعلى.

أغلقتُ الباب بالمفتاح وأنا ألهثُ من شدة الفزع والتعب! يا إلهي، من هذا الذي يسكن السرداب؟ وماذا يريد؟

جلستُ على الأرض وأنا أضع يدي على رأسي، أفكر في الخطوة القادمة. فجأة سمعتُ صوت بكاء رضيع. لستُ متيقناً من مصدره، ولكنَّ بكاءه كان يقشعرُّ له البدن، وكأنَّه جريح أو سيموت. حاولتُ أن أبحث عنه، ولكنَّ الزلزال الذي بدأ يرتجُّ لهُ منزلي، جعلني أنهض من جديد، وأنا أرى غرفة المعيشة يتطاير منها الأثاث يميناً وشمالاً: الأريكة تحلق وتضرب في الجدار، والمجسمات التاريخية التي أحتفظ بها، تتكسر على الأرض، وتحطّم فيَّ مئات الأحاسيس المضطربة، فجأة... ساد السكون في المكان، وكأنَّ الزلزال قد انتهى! ولكنَّ هذا الرعب مستمر ولا يريد التوقف! سمعتُ صوت أصابع تخربش على الجدار، نظرتُ بذهول إلى الكائن الخفي الذي كتبَ بحروف من الدم:

" احذر يا تياغو! "

كُتبت هذه العبارة في جميع أركان غرفة المعيشة، وبحبر من الدم الذي بدأ يسيل على الأرض! عيوني سوف تنفجر من الضغط الذي فُرِضَ عليَّ وهاجمَني، كما يهاجم الأسد على فريسته، صرتُ أتلفَّت حولي كالمجنون! وفجأة سمعتُ صوت طرق على الباب، الصوت كان قوياً ومرعباً! وكأنّني أحتاج إلى مزيدٍ من الهلع، ركضتُ نحو الباب، وكأنني أبحث عن مخرج، فتحتُ الباب لم أجد شيئاً! كنتُ سأغلق الباب وأرجع إلى الجحيم مرة أُخرى، ولكنّي سمعتُ صوت بكاء الطفل من جديد. نظرتُ إلى الأرض فرأيتهُ ملفوفاً في غطاء أبيض خفيف. صُعقتُ من وجودهِ في شرفة منزلي! إنَّه سيموت لو بقيَ خارجاً في هذا الطقس البارد، حملتهُ بيدي بكل خوف، ووجدتُ رسالة موضوعة بين ثنايا الغطاء.

"لا أستطيع الاعتناء بطفلي بعد اليوم، فأنا بالكاد أطعم نفسي، سوف يموت لا محالة! اخترتُ منزلكم كي تعتنوا به لبعض الوقت، على أمل أن أرتّب حياتي، وأجتمع به من جديد. بالمناسبة هذه الطفلة اسمها: جولييت".

لم أصدّق ما قرأته للتو! نظرتُ إلى أثاث منزلي المحطم، ووجَّهتُ نظري نحو الطفلة. خرجتُ من المنزل، وأغلقتُ الباب. أخرجتُ هاتفي النقال، واتَّصلتُ به:

- أين أنتَ؟ أريدكَ أن تأتي في الحال!

كنتُ أقف في فناء منزلي الخارجي، الطفلة تصيحُ بطريقة مفزعة وهيَ في حضني، أحاول أن أنهي نوبة الهلع التي تلازم هذا المخلوق غير المرغوب بِهِ. تُرى مَن هيَ التي أنجبتهُ، وأخرجتهُ إلى هذه الحياة القاسية؟ الجيرانِ ينظرون إليّ باستغراب! يا إلهي، سوف أقع في العديد من المتاعب لو كُشفَ أمري! لا أريد توجيه الاتهامات لي بسرقة طفل، وأنا للتو قد أنهيتُ فترة سجني.

أخيراً وصل الشخص المنتظر. ركنَ سيارته قديمة الطراز ونزلَ مسرعاً، وقال بقلق:

- تياغو؟ ماذا بك؟ لقد أفزعتني!

نظر إليَّ بطريقة غريبة، وقال لي:

- ماذا تحمل بينَ يديك؟

هذا هو صديقي هاري، كبرنا وترعرعنا سوياً، كنَّا لا نفارق بعضنا أبداً، إلى أن جاء اليوم المشؤوم وسُجنتُ. هنا حلَّ الفراق بيني وبينه، ولكنه استقبلني عند خروجي من أزمتي، بل هو من أوصلني ليلة البارحة إلى منزلي. أجبتهُ وأنا أشعر بنوبة كبيرة من الفزع:

- لا أعلم ماذا يحدث لي يا صديقي! لتوّي خرجتُ من السجن، وظننتُ بأنَّ الدنيا سوف ترجع جميلة من جديد. ولكن هناك أشياء غريبة تحدث في منزلي، غرفة المعيشة بأكملها قد حُطّمت! ورأيتُ شخصاً يجول في المكان، ويحاول إلحاق الضرر بي، وفي النهاية وجدتُ هذه الطفلة على شرفة منزلي، تخيَّل أنَّ أمها لا تستطيع الاعتناء بها!

نظرَ إلى الطفلة تارةً، وتارةً كان يدرس حركة جسدي المرتعشة، وعيوني التائهة، إنَّه بارع في تحليل الشخصيات، فقال مطمئناً:

- دعنا ندخل إلى المنزل ونتحدث؛ فعيون الجيران تتربص بنا، وهذا ليس في صالحك.

فتحتُ باب منزلي، وسرعان ما توقَّفَ بكاء الطفلة! وكأنَّها شعرت بأمان المنزل. وماهي إلَّا لحظات حتى صعقتُ مما رأيته! أثاث غرفة المعيشة عادَ إلى طبيعته بالكامل! ولم أرَ العبارة المخيفة المكتوبة على الجدار.

شعرتُ بإحراج كبير، عندما قال لي صديقي هاري:

- من الواضح بأنَّ منزلكَ لا يشكو من أي شيء يا تياغو، إذن لماذا اختلقتَ كل هذه الحكاية؟

ظهرَ التوتر والضياع عليَّ، فقلتُ له سريعاً:

- أقسمُ لك يا صديقي بأنَّ ما قلتُه لك قد حدث، وأمام عيني! هناك رجل غامض، من الواضح بأنّه خلف كل هذا الرعب الذي أعيشه الآن، لا أعرف ماذا يريد مني؟ ولكني متأكد بأنّني رأيته يسير أمامي إلى السرداب السفلي، بل رأيتُ عيونه المفزعة، إلى أن وجدتُ هذه الطفلة التي أحملها.

هاري لم يقل أيَّة كلمة! بل ذهبَ إلى السرداب السفلي، وسرعان ما رجعَ وقال لي مبتسماً:

- أظنُّ بأنكَ متعب يا تياغو، وحشة السجن، وسنيّن الحبس، كفيلان بأن يُدخلا في رأسكَ سيناريوهات مرعبة وغامضة، لقد تفحصتُ السرداب السفلي، ولم أجد شيئاً!

جلستُ على الكرسي، ونظرتُ إلى الطفلة النائمة بعمق. شعرتُ بالراحة عندما غلبها النعاس؛ فوجودها منذ الثانية الأولى، قد أرهقني بالكامل، كنتُ أريد أن أخفي هذا الإحراج الواقع بيني وبين صديقي هاري، فأنا لا أريده أن يظنني مجنوناً.

- حسناً، أرجوكَ قل لي: كيف سأتصرف مع هذه الطفلة؟

لا أعلم لماذا رأيتهُ يرمقني بنظرات محيّرة! نظرَ إلى الأعلى متأملاً:

- إن كنتَ تظن بأنها سوف تكون مسؤولية كبيرة عليك، عليكَ إبلاغ الجهات المختصة بأمرها.

نهضتُ من مكاني بفزع، وقلت:

- لالا... بالتأكيد لا! لا أريد أن يتهموني بخطف الطفلة. للتو خرجتُ من مكان لم أتخيل يوماً بأنني سوف أخرج منه. لا أريد أن أسلط الأضواء عليّ من جديد؛ فأنتَ ترى وتقرأ ماذا يكتبون عني؟ إنّهم يهابونني بشكل واضح. سوف أهتم بهذه الطفلة، لعلَّ أمها ترجع إلى صوابها وتأتي لأخذها.

نهضَ هو الآخر من مكانه، وقال لي مبتسماً:

- حسناً! إن احتجتَ إلى أيّ شيء، أرجوك اتَّصلْ بي.

أوصلتهُ إلى باب المنزل، وخرج مغادراً. وضعتُ الطفلة بكل لطف على إحدى الأرائك المريحة، وقررتُ أن أصعد إلى الأعلى لكي أغتسل سريعاً. بمجرد أن وضعت رجلي على أول درجة، سمعتُ همساً مرعباً:

"سوف تدفع الثمن يا تياغو!".

تجمَّدت في مكاني! وكنتُ أريد أن ألتفت لكي أكشفَ هوية المتحدث، ولكني كنتُ خائفاً جداً! بخطوات مرتجفة تفحَّصت المكان كله، لم أجد شيئاً، فجأة بكتِ الطفلة بصوت عالٍ؛ فركضتُ نحوها كي أحملها، وبمجرد أن حملتها، شعرت بخفة غريبة في جسدها، كانت الخفة لا تُصدَّق! واكتشفتُ بأنني أحمل الغطاء فارغاً! لقد اختفت، يا إلهي مَن أخذها؟

سمعتُ صوت بكائها يأتي من الجهة الأُخرى، التفتُّ فوجدتها على الدرج! كيف وصلت إلى هناك؟ سرعان ما حملتُها وذهبت بها إلى غرفة المعيشة من جديد. وبمجرد أن جلستُ كي ألتقط أنفاسي، نظرتُ إليها، فرأيتها تبادلني نفس النظرة! بعيون لم تكن طفولية، بل كانت كبيرة وجاحظة.إنها تنظر إليَّ دون أن ترمش! وجه شاحب لطفل غريب، بدأت تفتح فمها وتغلقه، كأنَّها تريد قول شيء. ولكن كيف لطفل في عمرها أن يتحدث؟ فجأة ضاقت عينيها، وظهرت حولهما تجاعيد صغيرة، وقالت بصوت مرعب:

"سوف تندم يا هذا على فعلتك!".

أطلقتُ الطفلة من يدي بكل فزع! بل ركضتُ إلى آخر المنزل؛ لأختبىء من شيء لا أعلم ماهو! أغمضتُّ عينيَّ، وقلت في نفسي:

"أنتَ مرهق يا تياغو! السجن جعلكَ إنساناً مضطرباً! عليك التحلي بالشجاعة". وبالفعل، قررت أن أعودَ إلى الطفلة بخطوات خفيفة وخائبة. نظرتُ إليها بخوف، وهي تبتعد عني بضع خطوات، فوجدتُها نائمة بكل سلام. حملتُها بين يديَّ وذهبتُ بها إلى الأعلى، وضعتها في سريري، وقررتُ أن آخذ حماماً ساخناً، وأن أطرد جميع الأوهام المسيطرة عليَّ.

نهضتُّ في تمام الساعة الثامنة صباحاً، بسبب الكثير من الكوابيس التي لازمَتني طوال نومي، لم تزعجني كثيراً، بل أزعجني بكاء الطفلة العالي، أظنُّ بأنها جائعة، وتحتاج إلى تبديل ملابسها الداخليّة.

اغتسلتُ بسرعة، وغيّرت ثيابي، وحملتها وذهبنا للتسوق. في البداية لم أكن أعلم أين سأذهب بها، لأنني لا أملك الخبرة الكافية في تربية الأطفال. سألتُ أحد المارة عن أقرب مكان أستطيع أن أشتري فيه حاجيات الطفلة، دلّني عليه بسهولة، إنَّه قريب جداً.

دخلت وزادت حيرتي أكثر، رغم أنَّ كلَّ ما أحتاجه متوفّرٌ أمامي. نظرتُ إلى الموجودين في المكان، فوقع اختياري على امرأة مسنَّة، أعتقد بأنَّها في عقدها السابع، ودودة الوجه، سألتُها عمَّا قد أحتاجهُ للطفلة، فدّلتني عليه سريعاً. أخذتُ الحليب والغيارات وجميع ما تحتاجه الطفلة. وعندما انتهتْ من مساعدتي، سألتني سؤالاً غريباً:

- ترى كيف تبدو طفلتك؟

رمقتُها بحيرة! وأشرتُ إلى الطفلة التي أحملها، فقلتُ "إنها جميلة!". نظرتْ هي الأُخرى نحو الطفلة، وتغيرت ملامحها بالكامل! أثارت رعبي بتعابير وجهها الغريبة! فقالت وهي متوجهة إلى الخارج: "ما هذا العالم الغريب".

لم أفهم ردة فعلها، هل رأت بأنَّ الطفلة قبيحة؟ هذا مستحيل، إنَّها كالملاك النائم، ولحسن حظي أنَّها تنعم بلحظات راحة؛ لأنَّ بكاءها سوف يجلب الكثير من المشاكل لي.

رجعتُ إلى منزلي، وكنتُ أنوي الدخول، ولكني سمعت صيحات عالية تأتي من الداخل! الأصوات وكأنَّها شغب أطفال. قرَّبتُ أذني من الباب للتأكد، وأيقنتُ بأنها أصوات أطفال! نظرتُ فجأة إلى الطفلة التي أحملها، وشعرتُ بأنَّ دمي قد توقَّفَ سريانه في شراييني، وجهُ الطفلة يدل على تنصُّتها! إنها تفعل كما أفعل، كأنها بالغة. وفجأة ابتسمت لي بطريقة مريبة! ابتسامة شيطانية جعلتني أتصبَّب عرقاً.

فتحتُ الباب بيدي المرتجفة ودخلت، ذُهلتُ مما رأيته! بالفعل إنَّهم أطفال: سبعة يطوفون ويجولون في غرفة المعيشة، يلعبون وكأنَّ المكان مكانهم، ملامحهم مرعبة جداً! أجسادهم وكأنَّها قطع دمى مركبة. منهم من لديه عين واحدة، والآخر

يفتقد يده، كل واحد منهم لديه عاهة مستديمة. وضعتُ الطفلة من يدي على الأرض، وقلتُ بصوت مرتجف عالٍ:

- من أنتم يا أطفال؟ ومن الذي جاء بكم إلى هنا؟

فجأة توقفوا عن اللعب! ونظروا إليَّ بطريقة قاتلة! عيونهم تطلق شرارات هجومية، عيونهم تذكرني بعيون الطفلة التي معي، فيها خبث وكراهية! بل فيها خبرة سنوات طويلة في الحياة. مستحيل أن يكونون أطفالاً!

أشاروا بيدهم إليَّ، ولم تنبس شفاههم بكلمة! وخلال ثانية واحدة، تحولت أياديهم إلى مكان الطفلة على الأرض. التفتُّ إليها وإذ بي أراها تكبر فجأة، تحولت من طفلة رضيعة إلى فتاة تبلغ الخامسة أو السادسة من عمرها! وقفتْ أمامي بجبروت يحطم مملكات ودولاً، ازدادت عيناها سواداً، وشعرتُ بأنَّها سوف تقتلني في أيَّة لحظة. طلبت مني بإشارة من إصبعها أن أقترب، تريد أن تهمس لي بشيء. اقتربتُ بحذر شديد، وضعتْ فمها على أذني وقالت لي بنبرة تقشعر لها الأبدان:

"قلتُ لك بأنكَ سوف تندم" .

تركتني وذهبت مع باقي الأطفال، وقفتْ أمامهم كالقائدة التي بيدها الأمر والنَّهي. بدأت المعركة الدامية. فجأة قالوا جميعهم وبنفس الوتيرة واللهجة التهديديّة: "سوف تندم... سوف تندم ... سوف تندم!".

شعرتُ بألم قاتل يهجم على رأسي، أمسكتهُ بيدي وبدأتُ أصرخ، لم أستطع تحمُّله، وكأنَّ أياديهم تبُعث منها موجات تعذيبية لا أعلم ما سببها! لماذا يفعلون بي كل هذا؟ انتقلَ الألم إلى عيني اليمنى، شعرتُ بضغط كبير سوف يجعلني أزور قبري لا محالة! أغمضتُّ عيني وأنا أصرخ، وعندما فتحتُها لم أرَ شيئاً بها. الظلام يحتلّ تجويف العين! لكنني رأيتُها بعيني اليسرى تسقط أمامي! لقد اقتلعوا عيني اليمنى من مكانها! ودم جسدي أصبح شاهداً عليهم. رأيتُ رجلاً يقف بعيداً وينظر إلى كلّ ما يحدث دون أن يتدخل. طوله فارع، وبنيته ضخمة، يرتدي رداءً أسود اللون، لهُ غطاء رأس يُخفي بِهِ ملامح وجهه.

حاولتُ أن أنهض وأنا ألملمُ شتات نفسي، ولكنهم اختفوا واختفى الرجل الغامض أيضاً! شعرتُ بدوار كبير في رأسي، وكأنَّ المنزل يتحرك يميناً وشمالاً، وقعتُ أرضاً من جديد، وسمعتُ طرقات الباب القوية. أحدهم في الخارج، لربما يساعدني. حاولتُ الوصول إلى الباب ولم أستطع! فجأة سمعتُ صوته يتكسر! حاولتُ أن أفتح عيوني وأنا أسمع ذاكَ الصوت ينادي ويناجيني كي أستجيب له. فتحتُ عيوني أخيراً، ورأيتُها!

هل هذا حلم؟ ولكن كيف للواقع أن يتحقق بوجودها معي؟

ضُمِّدَ جرحي، وعيني اليمنى نامت إلى الأبد، والتحفت بعصابة عين سوداء اللون. وقفتُ أنظر إلى حالي أمام المرآة، بكيتُ قليلاً على ما حلَّ بي. سأكمل حياتي بعين واحدة، ولسبب مجهول لا أعرفه! وسوف يخفيه عني الزمن لفترة طويلة.

التفتُّ إليها، ورأيتها تنظر إليَّ بعيون مكسورة. ربَّتت على كتفي، وأخذتني من يدي وجلسنا في غرفة المعيشة، كيف أبدأ؟ ماذا أسميها؟ إنَّها –كارول- حب حياتي المفقود. عرفتُها منذ سنوات طويلة، ومنذ أن رأتها عيني، علمتُ أنَّها الفتاة المقدَّرة لي. كثيرون من الناس يبحثون عن الشخص المنشود، لكي يملأ النقص في مشاعرهم، ويحرّك رياح حياتهم الهادئة. جميع هذه النواقص نبحث لأجلها عن إنسان يكمّلها ويسدّها.

كل ما ذكرتهُ وجدتهُ في كارول. آخر لقاء تمَّ بيننا كان قبل سجني بأيام. قررتْ التخلي عني لكثرة مشاكلي، أو لعدم وجود مستقبل مستقر معي كما زعمتْ. واليوم أراها تجلس أمامي، الدموع تملأ عينيها، والحسرة تومضُ في نظراتها. لا أعلم إن كان عليَّ أن أشكر الرب لعودتها إلى حياتي، أو لعودتها في الوقت المناسب. لقد أنقذتني وأسعفتني.

لاحظتُ عليها تصرفات غريبة! وكأنَّها رجل آلي يتحكم به أحد الأشخاص! قالت لي وهي مرتبكة:

- عندما سُجنتَ، شعرتُ بأنَّ حياتي قد انتهت يا تياغو! حاولتُ أن أدوس على قلبي عشرات المرات لكي أنساك، ولكنّي عجزت. كيف أنسى حبي الأول؟ وعندما علمتُ بخروجك، قلبي تراقصَ فرحاً، لقد كنتُ أسمع دقاته لأول مرة، منذ غيابكَ عني وهو ينبض بلا صوت، ويعيش بلا هدف، لقد خسر نصفه الآخر! فالقلوب عندما تعشق، تشيدُ له منزلاً لا توجد به شبابيك أو أبواب، تغلق عليه الدنيا بأكملها، فما بالكَ عندما يكتشف هذا القلب، بأنَّ حبيبهُ أو أسيرهُ الجميل، قد هرب بطريقة غامضة! هذا ما حدثَ معي. شُلَّتْ جميع حواسي، وفقدتُ القدرة على إكمال حياتي، كانت تمرُّ بي الأيام والليالي وأنا أخدع عقلي بوجودك، هل تتصور بأنني كنتُ أقرأ لك؟ وأغني معك؟ وأشاركك لحظات يومي وأنا أستمتع بوجبة غداء أو عشاء؟ هل تعلم كيف يؤلم هذا الشعور عندما أحاول أن أنام، وأنا أعلم بأنني كاذبة؟ نعم أنا كاذبة وخائنة لروحي الطاهرة، أوهمها بوجود شخص قد غابَ عني ورحل!

شعرتُ بخروج قلبي من مكانه بسبب كلماتها الحزينة! أنا اشتقتُ إليها أيضاً، ولم أنسها قط. وكيف لإنسانٍ أن يسهو ولو لحظة واحدة عن حبّ حياته؟ قلت لها

مواسياً:

- لطالما قلتُ بأني أدينُ لك بحياتي، لأنكِ انتشلتِني من الضياع، والآن أنا أدينُ لكِ بحياة مضاعفة، لأنكِ أنقذتِني من موت محقق.

رمقتني بنظرة غريبة، وقالت بكل حيرة:

- أريدُ أن أعرف ماذا حدثَ لك؟ كيف فقدتَ عينك بهذه الشناعة؟

أخذتُ نفساً عميقاً، وقلتُ لها:

- لا أعلم إن كنتِ ستصدقينني أم لا! ولكني سأروي لكِ حكايتي الغريبة.

وبالفعل رويتُ لها كل شيء، جميع التفاصيل الصغيرة قبل الكبيرة، كانت تستمع إليَّ بعيون مشككة! سمعتُها تقول بأنني مجنون، نعم قالتها بعيونها الحائرة وليس بلسانها العذب.

عندما أنهيتُ قصتي، قالت لي وهي تتلفَّت بطريقة غريبة، وتمسك برأسها وكأنها تتأكد من وجوده:

- أنا أصدّقك يا تياغو! وسوف أبقى معك ولن أفارقك، فحكايتنا لم تنتهِ بعد.

فجأة نهضت من مكانها وصرخت: "اتركوني... اتركوني" .

نهضتُّ أنا الآخر، وقلتُ بفزع:

- ماذا بكِ يا كارول؟ مع من تتحدثين؟

رجعت إلى هدوئها، وقالت لي مستغربة:

- أتحدَّث إليك، ما هذا السؤال الغريب؟ هل يوجد أحداً غيرنا هنا؟

رغم التفاصيل الغريبة التي تنتشر كالسرطان في حياتي، إلا أنَّه من الواضح أنَّ كارول لديها أسرار غريبة وغامضة، وقررت فجأة أن تأتي إليَّ وتشاركها معي، ما الذي تخفيه يا ترى؟ لا أعلم!

الوقت غروب الشمس، والغروب يزخرف بسحره لوحة فنية في أعلى سماء غابة السافليين. آهات مسموعة، وتعب ملحوظ، وعذاب لا ينتهي لعدد كبير من البشر المعلقين.

تهتز الغابة وهي تستقبل عدد كبير من الأحصنة السحرية، جميعها تتميَّز بألوان خلابة، وبعيون آسرة ومرعبة! يمتطيها العديد من الخيَّالين السحرة، صخبُهم وتهليلهم بطقوس سحرية يتلونها، يصل إلى أقصى بقاع الأرض الحزينة.

يتقدَّمهم رئيس مجلس السحرة السيد فالفو، يطوفون في المكان وضحكاتهم ترتسم على وجوههم، كطفل حصلَ صدفة على خريطة تدله على متجر من الحلوى.

وقفَ السيد فالفو أمام السيد ليو رئيس الأحرار، رمقهُ بنظرة مشمئزة ترافقها ابتسامة خبيثة، ومن ثم قال بكل هدوء:

- لقد نفذَ صبري يا ليو، أُعقد معي الاتفاق ودعنا نستولي على هذه الأرض معاً.

نظرَ إليه ليو بعيون مكسورة، وبفم يشكُو من الجفاف، وقال متعباً:

- طالما حييتُ لن تحصل على السر الثاني، ولن يكون هناك أيّ اتفاق يا ساحر.

- يا لَعنادكَ يا ليو! بإمكانكَ أن تُريح جميع أصدقائك المعلّقين، وتجعلهم يسترجعون حياتهم الطبيعية، لماذا تتصرف بهذه الأنانية؟ اعترف بأنك خاسر في هذه المعركة، يا صديقي أنكَ تحتاج إلى معجزة كونية كي يقف الحظ معك من جديد!

سعلَ ليو بقوة، وقال وهو مُنهك:

- طالما أنَّنا نسير في الطريق الصحيح، ولأنَّ الحق معنا فإننا الفائزون. لا تقلق يا ساحر، هذا النعيم لن يدوم لك أبداً، ولو سمحت، وقتك انتهى معي، فالسحرة كالفئران، هل رأيتَ أحداً من قبل يتحدث إلى فأر؟

تجعَّد وجه السيد فالفو، وبان الغضب على تفاصيله، ولكنَّه هدَّأ من روعه، لا يريد أن يُظهر بأنَّه قد تأثرَ بكلام السيد ليو؛ فقال مبتسماً:

- لكَ ما تريد يا ليو، قل لي: ألا تشعر بأنَّ الهواء في هذا اليوم جميل ومنعش؟ أريد أن أشعر بقليل من حرارة الأرض.

فتحَ السيد فالفو فمه وهمسَ بكلمات غير مسموعة، اهتزت الأرض، وكأنَّ هناك كائناً يسكن في أعماقها، وقد غضب وقررَ أن يخرج! تفتَّت السطح، وبدأت الصخور تخرج من جوفه، وسرعان ما فتُحت الأرض على مصراعيها، نبتت أجنحة لأحصنة السحرة، وطاروا بأصحابهم إلى الأعلى. خرجت نيرانٌ من الأرض، وتحول الجو الربيعي الجميل، إلى صيف حارق بحرارته، علت صرخات البشر المعلقين في الغابة، نعم... بين ثانية وأُخرى تغيَّر اسم غابة السافليين، إلى غابة الجحيم!

اعتدتُ على وجود –كارول– في المنزل، لقد كانت تهتم بي وترعاني، صحيح أنّني لم أتأقلم على العيش بعين واحدة، ولكنني أحاول. اختفى الرعب من حياتي منذ أن وطأتْ قدماها بيتي، وكأنَّ وجودها طردَ الشر الساكن في أعماقي! أصبحت أحلامي جميلة، وتفاصيل يومي مشوّقة. إنَّنا لا نتفارق أبداً، نأكل، ونقرأ، ونتحدث عن الماضي والذكريات القديمة، نعم الحياة جميلة بوجودها.

ذات ليلة ممطرة، شعرنا بالتعب الشديد من السهر، فالساعة تشير إلى الرابعة فجراً، كنَّا نشاهد إحدى البرامج التلفزيونية. أطفأنا التلفاز وتوجَّهنا إلى غرفة النوم في الطابق العلوي. قلتُ لها بأنني سوف أريح عضلات جسدي في حوض الاستحمام، هذه عادة قديمة لي، أستمتعُ وأنا أشعر بالماء الدافىء يغمر جسدي لساعات طويلة. كنتُ أجلس في الحمام ولا أشعر بالوقت.

(3)دخلنا إلى غرفة النوم، فقالت لي كارول بأنَّها ستذهب إلى الطابق السفلي مرة أخرى لتجلب كتاباً يسلّيها في وحدتها، ريثما أنتهي من استحمامي. دخلتُ إلى الحمام واستخدمتُ المرحاض ككرسي استراحة. كنتُ أريد أن انتظارها لتأتي بكتابها، فشعورنا بقرب من نحبّ، كالسدّ الحديدي المنيع، نحسّ بوجوده بالأمان الكبير، فعلاً، قرب الأحباب منَّا نعمة وقوة لنا.

مرت الدقيقة تلو الأُخرى ولم تصعد كارول، كنتُ سأنهض من مكاني لأستطلع سبب تأخرها، ولكني سمعتُ صوت خطوات قادمة في اتّجاه غرفة النوم. فجأة رأيتُها تمر من أمامي بوجه شاحب! لم تلتفت إليَّ، ولم تحدّثني! ولم يكن بيدها أي كتاب! اختفت خلف الجدار الفاصل بين الحمام وغرفة النوم، لا أعلم لماذا شعرتُ بأنَّ هذه ليست كارول! كانت ترتدي نفس الملابس! وماكياجها الناعم لم يتغير! ولكنَّ وجهها كان شاحباً، بارداً مميتاً.

بحركة سريعة خرجتُ من الحمام ودخلتُ إلى الغرفة، صُدمت لأنني لم أجدها! صرتُ أبحث كالمجنون بين الزوايا! وكأنني أبحث عن قطة! وليس عن فتاة ناضجة.

شعرتُ بدوار يضرب رأسي. هل هذه دعابة سخيفة منها؟ مستحيل، من رأيتها لم تكن هي! بل كائن يتلبَّس صورتها! ولكن من يكون؟ ولماذا يحدث معي ما حدث؟

- أخيراً وجدته.

التفتُّ ورأيت كارول تدخل من باب غرفة النوم وتمسك كتابها مبتسمة. اقتربتُ

منها بحذر وقلت:

- أين كنتِ؟

نظرتْ إليَّ وهي تبتسم باستغراب:

- قلتُ لك أنَّني ذاهبة لجلب كتابي، هل أصبتَ بالزهايمر؟

- ألم تكوني موجودة هنا قبل قليل؟

- بالطبع كُنت موجودة، وغادرتُ لجلبِ كتابي وعدتُ من جديد! ماذا بكَ يا تياغو؟

إذن هي لا تعرف ماذا أقصدا وتأكدتُ أنَّ ما عشتهُ قبل قليل كان موقفاً مرعباً! لم يفصلني سوى متر على الأقل مع ذاك المخلوق المتلبّس بهيئة كارول، يا إلهي! صرتُ أسمعهم وأراهم يطوفون بكل حريّة أمامي! قررتُ ألّا أشعرها بضياعي الكبير، فقلتُ مبتسماً:

- أتمنى لكِ قراءة مشوقة في كتابكِ، سوف أدخل للاستحمام.

استلقت كارول على السرير وهي تقرأ الكتاب، فدخلتُ إلى الحمام،وفتحت الصنبور ليملأ الماء الدافىء حوض الاستحمام، أقفلتُ الستارة الخاصة به، أضأتُ العديد من الشموع ذات الرائحة المحببة لي، أطفأتُ إضاءة الحمام، وجلستُ على كرسي المرحاض وأنا أفكر.

ما الذي حصلَ لحياتي، وأوصلَها إلى هذه المرحلة القاسية؟ وضعتُ يدي على العين المفقودة، وشعرتُ بحرقة تسري في قلبي! أنا في منتصف عمري وقد فقدتُ عيناً من عيوني، ترى ماذا سأفقد في الأيام القادمة؟ أشعر بأنني سوف أخسر المزيد. وما الذي رأيته قبل قليل؟ ترى ماهذه الغرائب التي تطاردني منذ خروجي من السجن؟ حقاً لا أعلم!

كنتُ أنوي أن أنهض وأسترخي في حوض الاستحمام، ولكنّني تجمدتُ في مكاني! هناك برودة قارسة في المكان! وكأنَّ فصل الشتاء قد هجم على الحمام! بدأتُ أرتجف، ولكني لم أتجمد في مكاني من البرد، لقد شعرت بشيء؟ هل شعرتم يوماً ما بأنكم تجلسون في أي مكان في منزلكم، وهناك شيء بداخلكم يقول لكم بأنكم لستم وحيدين؟ نعم! أنا متأكد بأنَّ هناك شخصاً آخر يشاركني الحمام في هذه اللحظة.

سمعتُ صوتاً قوياً يدوي في حوض الاستحمام، وقفتُ على أرجلي المرتجفة،

وتقدمتُ نحوه بخوف شديد. مددتُ يدي وأنا أشعر بأنَّ قلبي سوف يخرج من مكانه، فتحت الستارة وصُعقتُ! رأيت –كارول– مستلقية في الحوض وتبدو وكأنها ميتة! جسدها محترق بل متفحم! عيونها مفتوحة على مصراعيها، لونها أحمر مميت! هززتُها برفق فتأكدتُ بأنها ميتة، كيف جاءت إلى هنا؟ ومن قتلها؟ وكيف احترقَ جسدها بهذه الصورة! فجأة دبَّت فيها الحياة، وأمسكتني من يدي وقالت كلمات لم أفهم مغزاها، كانت تصرخ بشدة! لدرجة أنَّ مرآة الحمام تحطمت! واهتزَّ المكان بأكمله. صرختُ بأعلى صوتي منادياً اسمها، ولكنها لم تستجب لي، بل أكملت صياحها! فجأة انطفأت الشموع، وسُجنت في الظلام المخيف! حاولتُ أن أصل إلى الباب، حاولتُ أن أفتحه ولكنه مقفول من الخارج! شعرتُ بأنَّ هناك من يمرر أناملهُ على جسدي، وشعرتُ بأنفاس كريهة حول عنقي! هناك أكثر من شخص في هذا المكان! بدأتُ أصرخ وأستغيث، ولكني لم أعلم كيف سأتصرف!

فجأة أضيئتْ شمعة واحدة، فرأيتُ ستارة حوض الاستحمام قد أغلقت من جديد، بدأتُ أسمع همسات كارول المخيفة وهي تقول: " تياغو... تياغو... أينَ أنت يا عزيزي؟".

كانت تناديني وتضحك بطريقة مخيفة! كأنها مسكونة بروح شريرة! لا أعلم كيف تجرأتُ وذهبتُ نحو الستارة من جديد، فتحتُها بكل قوتي، فوجدتها تقف وهي عارية تماماً، رأيتُ رسومات غريبة على جسدها، مثلثات ورموز لم أفهم مغزاها! أمسكتني من عنقي، ووجدتُ نفسي طائراً في الهواء، شعرتُ بأنَّ موتي محتم! لا أستطيع أن أتنفّس. فجأة أنيرَ الحمام! فرأيتُ الصدمة على وجهها! وسرعان ما أفلتتني من قبضتها وسقطتُ على الأرض. نهضتُ من مكاني وأنا أرى حوض الاستحمام خالياً، فُتح الباب، فرأيتها تقف أمامي وهي تقول مصدومة:

-ماذا بكَ يا تياغو؟ ماذا حدث؟

نظرتُ إليها وأنا بالكاد ألتقط أنفاسي، إنها كارول تنظر إليَّ وهي ممسكة بكتابها الذي كانت تقرؤه!(4)

قررتُ ألّا أتفوه بكلمة لكارول بشأن ما حدث لي في الحمام، شعرت بأنني سوف أدخلها في دوامة ضياع لا نهاية لها، فقلتُ لها بأنني قد وقعتُ دون أن أشعر، لم تصدقني بالطبع! ولكني أصريتُ على موقفي. ماذا تريدني أن أقول لها؟ فأنا نفسي لا أعرف ما الذي يحدث لي!

ساعدتني على الاستلقاء في السرير، حقاً أحتاج إلى النوم، آه من النوم، عندما نكبر في العمر نشعر بحلاوة العديد من الأشياء التي لم نحبها منذ كنا صغاراً، أقرب مثال هو النوم. في الماضي عندما كانت أظفارنا ناعمة، كانوا يأمروننا أن نخلد للنوم، فكنَّا نشعر بالضيق والحزن، ويصل بنا الأمر أن نبكي ونرجو والدينا أن نحظى بوقت أطول من اليقظة، نعم فالنوم كان كابوسنا الأعظم! وعندما كبرنا، لم نعدْ نشعر بأنه كالعقوبة الطفولية، بل هو راحة تامة، ونأي للعقل وللبدن عن جميع المصائب التي نمر بها في يومنا التعيس! نعم... النوم هو الهروب من الواقع المر والعسير.

(5) سمعتُ صوت شخير كارول معلنة دخولها إلى عالمها الوردي، فأغمضتُ عيوني وسلَّمت نفسي إلى عالمي الخاص، وهنا طرأ على ذهني سؤال: ترى كيف تتكون الأحلام؟ قرأتُ كثيراً عن هذا الموضوع، ولكني لم أصدق أيَّة كلمة كُتبت عنه. يقولون أنَّهُ أثناء النوم ينشط العقل البشري ويُكوّن صوراً في الدماغ، ومن خلالها نرى أحلامنا. ولكني على يقين بأنَّ هناك سراً آخر لم يُكشف في هذا العالم! فالأحلام من صنع شخص مجهول لا نعرفه. وهذا الشخص له جانب أسود وأبيض، الجانب المظلم يمدّنا بالكوابيس والفزع، والجانب الأبيض يزورنا لينثر سحره المليء بالأمل وبالبسمة.

وإذا كان كلامهم صحيحاً، ويدّعون أنَّ العقل نفسه هو ما يرسم لنا أحلامنا، فكيف تأتينا رؤى مباركة؟ وإشارات كونية وإلهيَّة تخص حياتنا ومستقبلنا؟ صرتُ موقناً بأنَّ جميع ما يُكتب من قبل الناس ليس من الضرورة أن يكون واقعاً، فالعلماء يخطئون، والباحثون تخونهم أبحاثهم أحياناً. واليقين بالشيء أمر غامض إلى يومنا الحالي. قررتُ أن أوقفَ أفكاري المجنونة التي لا تأتيني إلا قبل النوم، وقلتُ في نفسي " أنا أريد أن أنام". هذه العبارة عوَّدتُ نفسي كثيراً أن أردّدها كي أسترخي وأستسلم لعالم الأحلام. جرَّبتها مراراً وتكراراً وكانت تأتي بثمارها، وكأنَّ العقل ينتظر مني أن أسمح له بنشر موجات السلام في جسدي، وبالتالي أن أحظي بقليل من النوم. وبالفعل استجابَ لي ونمت.

نهضتُ من نومي مفزوعاً، أشعر بثقل كبير على جسدي! علمتُ منذ الوهلة الأولى بأنَّ هناك شيئاً فيَّ ليس على ما يرام! كنتُ أستلقي على الأرض المقابلة لباب غرفة النوم، أشعر بخوف وفزع كبيرين؛ وكأنَّ هناك أحداً يطاردني! شلل تام ينتشر في جسدي، نظرتُ إلى نفسي وصرختُ بأعلى صوتي: أين باقي جسدي؟ لم أرَ سوى الجزء العلوي من جسمي! كيفَ اختفت قدماي؟

نظرت إلى غرفة النوم المظلمة، صحتُ منادياً كارول ولكنها لم تُجبني! هناك سكون غريب يعمُّ المكان! وأحسستُ كأنني أفقدُ جسدي وأطير بروحي في الفضاء المخيف. رأيتُ شيئاً غريباً في الغرفة. رفعتُ رأسي وتيقَّنت بأنَّ هناك رجلاً يرقد إلى جانب كارول! هل تخلصا مني بطريقة ما، وسكنا في منزلي؟ هل خانتني كارول؟ قررتُ أن أزحف بكل ما أملكه من قوة، يا لصلابة نصف جسدي! كنتُ أتعذب كي أتحرّك نصف خطوة، ومع كل مسافة أقطعُها كنتُ أصيح بغضب منادياً كارول! ولكن لم أتحصَّل على إجابة. بدأ الخوف يتغلغل في روحي وأنا في منتصف أرضية غرفة النوم، لقد اقتربتُ جداً، وصلتُ إلى هذا الرجل الغامض الذي يستلقي في سريري! عندما وصلتُ إليه تلقّيتُ صفعة زادت من ضياعي. إنني أرى نفسي في الفراش! هذا أنا! هل أنا أحلم؟ هل هذا كابوسٌ لعين؟ دققتُ النظر في جسدي الملقى على الفراش، لا أستطيع أن أتنفس! إنني أرى نفسي جثة هامدة! هل فارقتُ الدنيا بكل هذه البساطة؟ لا أعلم لماذا، ولكني شعرتُ بأن روحي بالفعل قد خرجت من جسدي، والسبيل للانتهاء من هذا الفزع، أن أحاول بكل ما أوتيتُ من قوة إعادة روحي إلى جسدي. تسلقتُ السرير بصعوبة، شعرت بأنَّ نبضات قلبي سوف تتوقف. جهد وحمل كبير أشعر بها وكأنني في مسابقة حمل الأثقال. أخيراً جلستُ على السرير ولكن لم يتغير شيء. التفتُّ إلى كارول وصحتُ باسمها، بل لمستُ وجهها بيدي، شعرت بشيء غريب مع لمستي! وكأنها ليست كارول الحقيقية! تمنيتُ أن تستيقظ من نومها وتنقذني، ولكنها خذلتني هذه المرة، صرتُ أتلفَّت يميناً وشمالاً، لعلي أجد حلاً سريعاً لمشكلتي. فكرتُ أن أستلقي بروحي على جسدي الميت، لربما أنجح! وبالفعل فعلتُها، وشعرتُ بأنني قد نجحت في استعادة جسدي.

نهضتُّ من نومي وأنا أصرخ وألهث، وكأنني كنتُ غارقاً في المحيط الأطلسي! استيقظت كارول على صراخي وحاولت تهدئتي، قلتُ لها باكياً:

- كابوس... إنَّه كابوس لعين!

قلتُها وأنا أعلم بأنَّ ما مررتُ به كان حقيقياً! لم أكن أحلم، لقد كنتُ أمسك بخيوط

الواقع بأناملي! ما حدثَ لي للتو! لا يوجد له تفسيرٌ أبداً!

اختبأتُ كالطفل في حضنها، رجل بالغ ومسؤول عن نفسه، ولكنه يبكي ويختبىء في حضن امرأة! هنا تكمن قوة حنان الأنثى، فبلمسة منها، أو بعناق حميم، تستطيع أن تحميكَ من لعنات القدر بأكملها.

ساعدتني لأستلقي من جديد على وسادتي، داعبتْ شعري ووجهي بحنان بالغ، شعرتُ بالأمان والطمأنينة، وسرعان ما أغمضتُّ عيوني وحُكِمَ عليَّ بدخول عالم الأحلام من جديد.

أين أنا؟ أسيرُ في ساحة ترابية تعجُّ بالسيارات الكثيرة. هناك العديد من الناس يتجولون، ويضحكون، ويقضون أوقاتاً سعيدة، ولكني حتى الآن لا أعلم سبب وجودي هنا. هذا ليس حلماً، أنا واثق تماماً بأنني على أرض الواقع! سمعتُ صوتها وهو يأتيني من خلفي صارخاً:

- هيا بنا يا تياغو!

التفتُّ خلفي، ولكنها سبقتني وركضت إلى الأمام، وعندما رأيتُها، صُعقت وغضبتُ كثيراً! صرختُ بأعلى صوتي:

- كارول... ماذا تفعلين؟

نظرت إليَّ وهي تضحك بشكل غريب! وقالت:

- ماذا بك؟ دعنا نحظى بقليل من المرح.

اتّسعت عيناي دهشة من جرأتها الغريبة! إنَّ الجزء السفلي من جسدها عارٍ تماماً! تمشي بكل بساطة بين الناس! هل جُنَّت؟ ماذا حدث لها؟

سحبتُها بقوة من يدها ونهرتُها، ولكنها غضبت، لم أعِرْها أيَّ اهتمام. ذهبنا إلى سيارتي، وحتى الآن لا أعلم كيف جئتُ إلى هنا بواسطة سيارتي! أخرجتُ معطفاً أسود رأيتُه في المقعد الخلفي، وربطّتهُ حول وسطها، ولكنها سرعان ما أزالته عن جسدها، ورمتهُ على الأرض بكل غضب، أبانت عورتها من جديدا! ونظرتْ إليَّ بغضب، وضربتني بقوة على جسدي، ضربة جعلت توازني يختل! عندما حاولتُ أن أنهض، رأيتها تركض وتصرخ وتبتسم بطريقة هيستيرية غريبة! إلى أن اختفت عن أنظاري. ركضتُ كالمجنون أبحث عنها في كل مكان، صحتُ بأعلى صوتي إلى أن شعرتُ بأنَّ حبالي الصوتية سوف تتقطع! لا أعلم لماذا بحثتُ في جيوب بنطالي، فوجدتُ صورة

لها! كيف جاءت إلى هنا؟ صرتُ أمشي وأريها لجميع المارة، لعلَّ أحدهم شاهدها، ولكنهم كانوا يجيبون بالنفي! إلى أن وصلتُ إلى دكّان يبيع خضروات وفواكه. حتى هذه اللحظة كنتُ متأكداً أنني أقف على أرض الواقع، وليس داخل عالم الأحلام. سألتُ الرجل المسن الذي وجدتهُ يجلس ويشرب الشاي عن كارول، فوقف مصدوماً وقال:

- نعم.. نعم لقد رأيتُها قبل قليل، إنها تركض في الشوارع عارية! أظنّ بأنها مجنونة! الحقُ بها يا بنيّ، فهذه امرأة ومن الممكن أن يستغلّها ضعاف النفوس، لقد ذهبت من هذا الاتجاه.

أشارَ لي بيده إلى الجهة اليمنى، فركضتُ بأقصى سرعتي، وعندما تخطّيت العديد من المباني، رأيتُها تركض وتضحك بصوت عالٍ! اقتربتُ منها، ونزعتُ بنطالي وسترتُها بهِ أخيراً! كانت تنظر إليَّ وتبتسم بطريقة خبيثة، عيونها مختلفة! فيها غموض لم يُكشف! قلتُ لها غاضباً:

- ماذا جرى لكِ يا كارول؟ وكيفَ أصبحنا في هذا المكان؟

أمسكت رأسي بقوة، وقالت بنبرة شيطانية مخيفة:

- لمَ تلحق بي من مكان إلى آخر؟ أنا لا أحبكَ يا تياغو! هل تفهم؟ أنا لا أستطيع حتى أن أشمَّ رائحة جسدك!

نظرتُ إليها مذهولاً، وقلتُ غير مصدّقٍ:

- هذا حلم... نعم حلم، مستحيل أن تكرهيني يا كارول، أرجوكِ قولي لي، هذا ليس بواقع صحيح، قولي لي ماذا يجري حالاً.

اتّسعتْ ابتسامتها المخيفة، وقالت:

- هذا ليس حلماً، وليس بواقع! هذه علامات البداية.

نهضتُ من نومي مفزوعاً، لقد رجعتُ إلى الغرفة من جديد! إذن إنّه حلم، ولكني شعرتُ بأدق تفاصيله، كنتُ متأكداً بأنني أحيا في الواقع. كعادتها كارول، نهضت من منامها، وقالت لي وهي بالكاد تلتقط أنفاسها من الرعب الذي زرعتهُ فيها:

- ماذا بكَ يا حبيبي؟ ماذا جرى؟ هل رأيتَ كوابيسَ في منامك؟

وضعتُ يدي على رأسي وأنا أبكي! كنتُ في مرحلة ضياع لا ملامح لها،

قلت مهزوماً:

- لقد هرمتُ يا كارول، كنتُ أعيش في عالم مرعب! حلم غريب بتفاصيل حقيقية!

سمعتُها تهمس بصوت مريب، وتقول:

- حلم؟ كان حلماً؟

رفعتُ رأسي ورأيتُها تبتسم لي نفس الابتسامة التي رأيتها في المنام، فقلتُ لها وأنا أبتلع لعابي بصعوبة:

- ماذا تقصدين؟

ازدادتْ عيونها سواداً، وقالت بتحدٍ:

- أنتَ تقول بأنَّه حلم، وما أدراكَ بأنك مستيقظ الآن؟

بدأت عيوني تتراقص في زوايا المكان! عندما بدأ الأمر كنتُ أشعر في أعماق جوارحي بأنَّ جميع ما أمرُّ به كان واقعاً، ولكني عندما استيقظتُ كذبتُ نفسي! ولكنَّ كلامها المريب، أشعرني بهجوم قادم نحو قواعدي الهشَّة!

- هل تقولين بأنني لم أستيقظ بعد؟

اقتربت مني وشممتُ رائحة عفنة تخرج من فمها:

- أنتَ لن تستيقظ إلا عندما آمرُكَ بالاستيقاظ!

قالتها وضحكت باستفزاز شيطاني! وبدأت تطير وتتسلق جدران الغرفة بسرعة كبيرة، كأنّها حيوان زاحف بقوة سحرية! بدأتُ أرتجف بشدة! إنني أعيش وسط تجربة فريدة، أحارب الواقع بعالم ممزوج بالأحلام! عرفتُ ماذا يجري لي: أنا متأكد بأنني في سبات عميق من النوم، ولكنني أعيش أحلامي بيقظة في عقلي! أشعر بكل التفاصيل الصغيرة التي تجري أمامي. حاولتُ أن أغمض عيوني بقوة، علّي أستطيع أن أخرج من هذا الحلم! لا أعلم كيف، ولكني شعرتُ بنفسي وأنا مستلقٍ على سريري، أجاهد من أجل أن أنهض من جديد، وأنهي هذا الكابوس الحقيقي! فتحتُ عيوني ووجدتني بالفعل مستلقياً على سريري. لم أستطع أن أفتح عيني كلياً، أشعر بأنَّ هناك شيئاً يحاول أن يغلقها من جديد! كنتُ أقول في نفسي: تحلَّ بالقوة يا تياغو! إن أغمضتَ عينكَ من جديد؛ سوف تغوص في هذا الكابوس دون رجعة! تجربتي حالياً، كتجربة المريض الواقع في غيبوبة، لا يعلم متى يصحو منها. شعرتُ

لوهلة بأنني سوف أفتح عيوني بأكملها، بل جسدي بدأ يتحرك من بعد الشلل الذي عاناه، ولكن فجأة! شعرتُ بمَن حضَّني من الخلف! إنّها يدٌ صخرية قوية تحاول جذبي إلى العالم الآخر من جديد! انتشرَ إحساس الشلل من جديد، وسرعان ما أغمضتُ عيوني بكل استسلام!

ما كنتُ أخشاه قد تحقَّق، رجعتُ إلى الكابوس الحقيقي! حتى الآن لم أفهم ما هذا الشيء الذي يُدخلني إلى عالم الأحلام وأنا بكامل يقظتي!

نظرتُ إلى المكان الذي أنا موجود فيه، فشعرتُ بنسمات الهواء الباردة المصاحبة للرطوبة البسيطة، أنا أقف على أحد الشواطىء، التي يقابلها العديد من الشقق الحديثة. لم أرَ هذا المكان من قبل! وكأنني في بلد آخر لم أزره من قبل أبداً.

هناك عدد لا بأس به من الناس السعداء، منهم من يصطادون السمك، ومنهم من يجلسون مع بعضهم، ويتحدثون بكل حب وطمأنينة، أشعر في داخلي أنني هارب من شيء أخشاه ولا أعرفه! ذهبت نظراتي إلى الشقق الموجودة في شمال الشاطئ، فرأيتُ كارول تقف على شرفة إحدى الشقق، وتبتسم لشخص لم أرَ تفاصيله! فمجرد أن رأيتُها، شعرتُ بغضب كبير! هي المسؤولة عمَّا يحدث لي، هي من تدخلني وتخرجني في هذه الأحلام الواقعية. ركضتُ نحو مدخل العمارة، جدرانها من الداخل تدل بأنها قديمة، عكس بنيانها الخارجي.

صعدتُ السلالم إلى الأعلى، وصلتُ إلى الطابق الأول الذي رأيتُ فيه الشرفة التي تقف عليها كارول. هناك شقتان في الجانب الذي رأيتُها فيه، قلبي دلني على الشقة التي على الشمال.

مددتُ يدي ففُتح الباب دون أن ألمسه! بمجرد أن دخلتُ، هجمَ عليَّ الضباب الكثيف، والضوء الأحمر المنتشر في الشقة كلون الدم. كنتُ أمشي بحذر كبير! سمعتُ خطوات تجوُّل في المكان! فجأة رأيتُ طفلاً يركض في بداية الممر ويختبىء في نهايته. ضحكاته أفزعتني! يمسك بيده سكينة صغيرة. قلتُ في نفسي: أريد أن أتبعهُ وأعرف ماسرُّه! وصلتُ إلى نهاية الممر فوجدتُ غرفة يصدر منها ضجيج غريب! فتحتُها فرأيتُ الطفل يستلقي على طاولة صغيرة ويبتسم. حولهُ أربعة رجال يمسكون بسيوف حادة، وجوههم غير مكشوفة، نظروا إليَّ ولم يعيروني أيَّ اهتمام! الطفل مازالَ يضحك، نزلت سيوفهم على رقبته وقطعوا رأسه! لا أعلم لماذا وضعتُ يدي على فمي كيلا أصدر أي صوت، رغم علمهم بوجودي معهم! طار رأس الطفل وهبط قرب رجلي! نظرتُ إليه وأنا أشعر بأنه سوف يغمى عليَّ من الخوف والاشمئزاز! فجأة تحركت عيون الطفل في رأسه المقطوع، وقال لي: "سوف تندم". وصرتُ أسمع هذه العبارة تقال بلسان جميع الناس المرعبين! خرجتُ من الغرفة راكضاً وأغلقتُ الباب خلفي. بدأت أنفاسي تتسارع بطريقة مريبة، شعرتُ بأنَّ قلبي سينفجر من الصدمات التي أراها.

سمعتُ صوت صراخ كارول يأتي من الغرفة اليمنى! ذهبتُ إليها بخطوات واثقة رغم ضياعي! فتحتُ الباب ورأيتها تقف مقابلة للشرفة، ورأيت رجلاً مجرداً من ثيابه ومكبلاً على السرير وهو يصرخ، ويوضع على رأسه غطاء أسود يمنعه من الرؤية، جسده بأكمله محترق! إنه يُعذب على يد كارول التي تمسك بسيخ حديدي مشتعل بالنيران. اتّسعت عيني دهشة! رمقتني كارول بنظرة شريرة ومرعبة جعلت توازني يختل. وبدون تفكير، ركضتُ في اتجاهها وسحبتُ السيخ الحديدي من يدها ورميتهُ على الأرض. وبسرعة ذهبتُ إلى الرجل الذي يصرخ من الألم، وحررتُ جسده من القيود، وأزلتُ الغطاء عن وجهه. ومنذ أن حرَّرته انتابني الشعور بالخوف والهلع، إنني أرى نفسي! الرجل الذي كان مقيداً ويتألم هو أنا! نظر إليَّ بعيون شيطانية، وبدأ يصرخ ويضحك، مما جعلني أتراجع بضع خطوات وأسقط على الأرض. بدأتُ أصرخ وأسمعهما يضحكان بطريقة مستفزة! دخلَ إلى الغرفة الطفل التي قُطع رأسه، لقد كان يمشي دون رأسه، بل كان يمسكه بيده، ومعه الرجال الذين عذبوه، وفجأة جميعهم رددوا نفس العبارة: " سوف تندم... سوف تندم" .(6)

استيقظتُ من نومي وأنا أصرخ، رأيتُ عيون كارول الخائفة عليّ، كنتُ في هذه اللحظة أهابُها كثيراً، لا أعلم إن كانت هي السبب فيما أعيشه! أم أنَّ سحراً شيطانياً قرر الهجوم على حياتي التعيسة، سألتُها عن الذي جرى، فقالت أنني كنتُ أصرخ، ولم تستطع إيقاظي، ولكنها نجحت أخيراً، عندما سكبت عليَّ ماء بارداً. إذن هذا هو السبب الذي جعلني أشعر ببرودة جسدي! كنتُ أعيش في حالة ضياع لا تنتهي، لا أعلم لماذا حضنتُها وبكيتُ كثيراً، حاولتْ أن تهدِّئني بكلماتها الرقيقة، وسرعان ما عادَ نبض قلبي طبيعياً.

رأيتُ الساعة تشير إلى الخامسة والنصف فجراً، يا إلهي! إنني أتعذب كلّ هذا العذاب منذ فترة بسيطة. طلبتُ منها أن نرجع إلى النوم، في البداية خافت عليّ كثيراً، قالت بأنّها تخشى أن أرجع إلى حالتي غير المستقرة، ولكنّي أصرَّيت على النوم. وكعادتها نامت وقد نالَ منها التعب، وأنا بقيتُ بضع دقائق أفكر بما حصل. لم أجد إجابة أو تفسيراً منطقياً لما حدث، حاولتُ طرد جميع السيناريوهات المحتملة لقصّتي، وأغمضتُ عيوني؛ لكي أحظى بقليل من الراحة، ولكنَّ الرعب قرَّر أن يكمل مسيرته معي.

شعرتُ بأنَّ هناك من يقف خلف باب غرفة النوم الذي كان شبه مغلق! نهضتُ من مكاني ببطء لكي أنظر بوضوح، الغرفة مظلمة، ومصدر النور الخفيف يأتي من الممر الخارجي.

فجأة تحرَّك الباب قليلاً ورأيته! إنَّهُ شخصٌ يلبس رداءً أسود، ولا يكشف عن وجهه!

فزعتُ وصحتُ على كارول كي تستيقظ، كنت أقول لها بأنَّ هناك أحداً داخل المنزل، وعندما أشرتُ لها على الباب؛ لم نرَ شيئاً! رمقتني بنظرة وكأنَّها تقول: لقد سئمتُ منك!

طلبت مني النوم مجدداً، ولكني أصرَّيت على النزول إلى الطابق السفلي والتأكد مما رأيت. رُبما يكونُ لصَّاً! لم تهتم لكلامي وعادت إلى نومها، فنهضتُ بخطواتي المرتجفة، وخرجتُ من الغرفة، رحتُ أتلفَّت يميناً وشمالاً، لعلّه يكون مختبئاً ويباغتني بهجومه، ربما يقتلني! تفحصت الطابق الأعلى فلم أجد أحداً! نزلتُ إلى الأسفل، فرأيتُ غرفة المعيشة طبيعية جداً، إحساس ما جعلني أذهب إلى المطبخ، وبمجرد أن دخلتهُ شعرتُ أنني لستُ وحيداً!

- هل يوجد أحدٌ هنا؟ أظهرْ نفسك يا جبان!

صرخت بأعلى صوتي، لربما أستفزُّه ويخرج من مكانه. شعرت بقبضة قوية تأتيني من الخلف، كان يمسكني من رقبتي بقوة. دفعته بقوة والتفتُّ لكي أراه، إنه نفس الرجل الذي رأيته يقف بعيداً عندما تمَّ تعذيبي من قبل الأطفال! لم أنسَ رداءهُ الأسود الطويل، ولكني حتى الآن لا أستطيع رؤية ملامح وجهه! هجمتُ عليه بكل قوتي ولكنه كان صلباً، أمسكني من جديد من رقبتي، وقال لي بصوت جهوري: " احذر يا تياغو... احذر! ".

سددّتُ لكمة على وجهه، فأعطاني لكمة ولكن بطريقة أقوى! سقطتُ على الأرض، وسقطتْ على رأسي أواني المطبخ المعلقة فوق الأرفف، فصرخت صرخة مدوية هزَّت المكان بأكمله.

حاولتُ أن أنهض وفعلتُها بصعوبة، بحثتُ عنه ولكنني لم أجده! شعرتُ بقطرات تهطل من السقف! رفعتُ رأسي فرأيت كلمة مكتوبة بقطرات من الدم، هي نفسها التي قالها لي

"إحذر".

سمعتُ صوت خطوات كارول تأتي من الأعلى، وبمجرد أن وصلت، ذُهلت من حالتي!. أمسكت يدي وقالت مرعوبة: " ما الذي حدثَ لك؟ ".

رويتُ لها كل ما جرى، ورأيتُ الشكوك التي بانت في نظرات عيونها، أخذتُها جانباً وقلتُ لها بأنني سأريها الكلمة الموجودة على السقف والمكتوبة بالدم. رفعتُ رأسي؛ فأصابتني أكبر الصدمات: اختفى كل شيء، ولم نجد الكلمة! سقطتُ على الأرض خائباً مهزوماً، فجلستْ هي بجانبي، وقالت لي بحزن كبير:

- أظنُّ بأنكَ تحتاج إلى المساعدة.

- ألم أقل لك: إن احتجتَ إلى المساعدة اتّصل بي؟ أتركك لبضعة أيام وأرجع إليك وأراك تفقد عيناً؟

نظرتُ إلى صديقي هاري الجالس أمامي في غرفة المعيشة، كنتُ أتمنى أن أطلب منه المساعدة، ولكنه سيساعدني بماذا؟ أنا نفسي لا أعرف ماذا يجري لي. لا أعرف مَن يقف خلف هذه الرواية المشؤومة التي انغمست فصولها بالغموض وبالرعب!

طلب مني أن أحكي له ما جرى بالتفصيل، وبالفعل لم أترك شاردة أو واردة إلا وقلتُها له، رأيتُ على وجهه نفس الملامح التي أراها على وجه كارول عندما أحكي لها عمَّا يحدث. الاثنان يكذّباني بعيونهما، ولكن ما الحيلة التي أملكها؟ فأنا لا أتكلم سوى الحقيقة.

صمتَ هاري بضعَ دقائق، وبدأ يتجول في البيت، وكأنَّه يبحث عن شيء! وصل إلى باب المنزل وتفحَّصه، ومن ثمَّ رجعَ إليَّ وقال مشككاً:

- لا يوجد أيَّة دلائل على دخول أحدهم إلى منزلك، كيف دخل ذاك الرجل الذي تتكلم عنه؟

نظرتُ إليه بكل برود، ومن ثم قلتُ معاتباً:

- لقد استدعيتُك لكي تجيبَ على أسئلتي، وليس لكي تحقق معي يا هاري.

ظهرت ملامح الخجل على تفاصيل وجهه، فجلسَ أمامي من جديد، وقال:

- أريد أن أساعدك يا صديقي، ولكنَّ ما أسمعه منك غريبٌ جداً! وأنا لا أكذّبك، أنت تعرفني منذ سنوات طويلة، ولكني لا أعرف كيف أساعدك، فالحكاية غريبة جداً! أولها بدأت بالطفلة التي وجدتَها واختفت! أو كما تقول أنَّها نضجت بين ثانية وأُخرى وهاجمتكَ برفقة أرواح شريرة متجسدة بأطفال. والحدث الثاني هو الرجل الغامض الذي هاجمك، وأيضاً وبكل صراحة، أنا أستغرب من ظهور كارول المفاجئ في حياتك!

أخيراً، بدأ كلامه يثير اهتمامي، فقلتُ له مستغرباً:

- هل تظن بأنَّ كارول خلف كل هذه المشاكل الغريبة؟

نظرَ إليَّ وكأنَّه لا يريد أن يجيب على سؤالي بشيء لا يفقهه، وقالَ مطمئناً:

- لالا، أنا لا أقول بأنَّها هي خلف هذه الغرائب، لأنَّ ما يحدث لكَ ليس من طبع البشر! فكيف لكارول الرقيقة أن تكون سبباً فيه؟ أنا أقول بأنَّ عودتها إليك كانت مريبة؛ لأنكما أنهيتُما علاقتكما بطريقة حزينة، قل لي: أين هي الآن؟ فأنا أريد أن أتحدث إليها.

- إنها نائمة! المسكينة لم تحظَ بلحظة راحة واحدة، منذ أن عادت للعيش معي.

سكتُّ أنا، ومكثَ هاري يفكر بعمق، ولم نصل إلى نهاية موفقة من نقاشنا.

دخلتُ غرفة النوم، فوجدتُ كارول تجلس أمام المرآة، تسرّح شعرها الجميل اللامع، إنّها تغيب عن هذا العالم بعيونها المشتتة، وكأنها تفكر في مصيبة قد حَلت على رأسها. ناديتُها وأنا أقف عند الباب: مرة واثنتان وثلاثة، ولكنها لم تسمعني! ذهبتُ نحوها وهززت كتفها، فانفصلتْ عن حالة الشرود التي تعاني منها، ونظرت إليّ بطريقة مفزعة!

- ماذا بكِ؟

سرعان ما تحوَّلت نظراتها إلى اشمئزاز وغضب، أظنّ أنَّ مشكلتها معي أنا! قالت غير مبالية:

- ماذا تريدُ مني؟

- أريد الاطمئنان عليكِ فقط، ما الذي يشغل تفكيركِ؟

وقفت وصاحت:

- إذن، أنت تشعر بأنني خلف كل هذه المشاكل التي تحاصرك من كل اتّجاه؟ لقد كنتُ واقفة على الدرج يا تياغو، وسمعتُ حوارك مع صديقك هاري! هل تظن بأنني أنا من أعذّبك بهذه الطريقة؟

ذُهلتُ من هجومها الحاد، فحاولتُ أن أهدّئها:

- أنا لم أقل ذلك يا كارول، صديقي هاري كان يقول ما يجول في تفكيره ليس إلا، ومن المستحيل أن أشك بكِ ولو قليلاً، فأنتِ من ساعدتِني منذ بداية المشكلة التي وقعت على رأسي.

رمقتني بنظرة مشككة، وقالت:

- ولكن كما قلت، فأنا جئتكَ في بداية المشكلة التي قلبت حياتكَ، من الممكن أن تضع اللوم عليَّ، وتجعلني المشتبه به الأول فيما يحدث لك من غرائب!

قالت كلامها باستهزاء، ولكني شعرتُ بشيء غريب في قلبي، لمَ لا يكون الأمر حقيقياً؟ ولمَ لا تكون هي التي رتّبت لكل هذا، وجاءتني بصورة المنقذة التي انتشلتني من الموت المحقق؟ ولكن لماذا ستفعل كل هذا؟ أنا لا أملك أيَّ شيء له قيمة! إلا إذا كانت تريد ما أملكه حقاً، وهو منزلي! فهي كانت في الماضي تريدني

أن أسجل هذا المنزل باسمها! كانت تقول بأنَّها تريد أن تشعر بالراحة والأمان، وأن لا أهجرها بين يوم وليلة، وكأنَّ هذا المنزل سوف يكون التأمين الكبير لحياتنا! هذه النظرية مضحكة جداً، فمن كان غير سعيد مع شريك حياته، لن يهمّه إن خسرَ منزلاً أو سيارة، أو ذهباً وألماساً. سوف يتنازل عن كل شيء في سبيل حريته!

- لماذا أنتَ بكل هذا الهدوء؟ تكلم، قلْ شيئاً!

أرجعتني إلى صوابي بعد هذه العبارة، فتبسَّمت وأنا أشعر بقليل من الخوف منها وقلتُ:

- أنا آسف إذا أوصلتُ لكِ فكرة مغايرة للواقع، أنا لا أشك بكِ يا عزيزتي، ولا أريد سوى أن أكمل حياتي معكِ.

شعرتُ بأنها تنفست الصعداء بعد كلامي، فطلبتْ مني أن أذهب إلى الطابق السفلي – السرداب – وأن أرى المفاجأة التي وضعتْها لي هناك. قلت لها بكل استغراب:

- ما هي المفاجأة؟ ولماذا وضعتِها في السرداب؟

- لا تكن مفسداً للحظات الجميلة يا تياغو! لن أقول لك أيَّ تفاصيل، وإلا سوف تُفسد عنصر المفاجأة.

وبالفعل خرجتُ من الغرفة، وتوجهتُ إلى الأسفل لكي أكشفَ عن مفاجأة كارول لي. خلال طريقي إلى الأسفل شعرتُ بذاك الإحساس الذي لم يفارقني منذ فترة طويلة، شيء بداخلي يؤكد لي بأنَّ هناك من يلاحقني! ولكني لا أستطيع أن أراه. قشعريرة الجسد الملازمة لي، وأنفاس تحوم حول رقبتي، وخطوات لا أعرف ما مصدرها. جميع هذه الأشياء باتت لا تفارقني أبداً، صرتُ أشك بأنَّ العيب من المنزل بأكمله. لربما أصبح مسكوناً وملعوناً من طرف أرواح شريرة هبطت وسكنت المكان أثناء غيابي في السجن!

وصلتُ إلى السرداب وشغَّلتُ ضوء هاتفي الجوَّال؛ لأنني حتى الآن لم أوصل الكهرباء إلى هذا المكان بالتحديد. بانت معالم السرداب، وزُرع الخوف في أعماقي مما رأيته! يا إلهي...ما الذي أراه! إنه سجن صغير! مكوَّن من الزجاج المتين، لهُ باب واحد، وسقفه عالٍ ومكشوف. اتّسعت عيني دهشةً، كنتُ سأنادي على كارول، ولكن تلقّيتُ ضربة قوية من الخلف، وأوقعتني على الأرض مغمىً عليّ.

فتحتُ عيني بصعوبة، وتحسّستُ رأسي بحذر، ألم كبير ينتشر في خلايا جسدي، إنني مرهق ومجروح، ولا أعلم ما الذي يحدث هنا!

توضحتُ الرؤية أمامي، الشموع تنتشر حول السجن الزجاجي الذي سُجنت فيه، والباب مقفول من الخارج، حاولت أن أفتحه وأكسره ولكني لم أفلح.

- لا تتعب نفسك، فالزجاج ضد الرصاص يا تياغو!

بحثتُ عن مصدر الصوت، فخرجت كارول من العدم، ولكنَّ ملامح وجهها بأكمله قد تغيرت عليَّ: شعرها الطويل أصبح محروقاً من أطرافه، أسنانها مخيفة وصفراء! عيونها تحولت إلى اللون الأسود المميت! تقف أمامي عارية بجسدها المشوَّه! وكأنها قد قامت بعملية جراحية أدت إلى نتائج كارثية. أشارت إلى جسدها وهي تصرخ:

- هل رأيتَ ماذا فعلتَ بي؟ هل يعجبك حالي الآن؟

لم أستطع أن أجيبها، لأنّني لا أعلم عمَّا تتحدث!

بدأت تدور حول السجن، وهي تصرخ وتقول بغضب:

- فعلتُ المستحيل لأجلك، وانظر كيف كافأتني يا تياغو! قيل لي أن أبتعد عنك، لقد شبَّهوك بالأفعى الماكرة، التي تلدغ أقرب الأصحاب إليها، ولكنكَ لم تكن صديقي، بل كنتَ حبيبي! ولم أركَ يوماً كالأفعى، بل كنتُ أنظر إليك وأرى فيكَ حبي الأول والكبير.

في هذه اللحظة، رأيتُ الشخص نفسه يقف في زاوية المكان، ذاك الشخص الذي يخرج لي من العدم، والذي هاجمني ليلة البارحة! اقتربَ من السجن وهمسَ بصوت مبحوح:

"لقد قلتُ لك بأنَّ عليك أن تحذرا"

صرختُ بأعلى صوتي عليه:

- أرجوك ساعدني، سأفعل أي شيء لكن أريدك أن تخرجني من هنا!

رمقتني كارول بنظرة غريبة ومحيّرة، وقالت وهي تضحك بخبث:

- لن أصدّقك بعد الآن يا تياغو، تريد أن تلعب أمامي دور المجنون! تريد أن توهمني بأنَّ هناك شخصاً يتحدث معك الآن؟ سأعذبك أشدَّ تعذيب، سأجعلكَ تندم على كلّ مافعلتَ بي.

تجمَّدت في مكاني وأنا أنظر إليها وهي تأتي بصندوق حديدي صغير. فتحتهُ وأخرجت منه كيساً متوسط الحجم، أسود اللون، يلتف حوله خيط ذهبي يحمي ما بداخله من الخروج! انتابني شعور مفزع! لا أريد أن أعرف ماذا يوجد بداخله، ولكنَّ خوفي سوف يواجه المجهول.

اقتربت كارول من السجن، ومدَّت يدها إلى الأعلى بالكيس، وإذ بها تقول بكل شر:

- إنْ كنتَ أفعى كما قالوا لي، فسوف تسعَد بأصحابك الذين أمسكهم بيدي.

قالتها وأزالت الخيط، ورمتهُ من فوق جدران السجن المفتوحة لكي يستقر على الأرض، فخرجت منه الكثير من الأفاعي الملونة! ولكنها لم تكنْ على طبيعتها أبداً، إنَّها أفاعٍ غاضبة لسبب أجهله! وكأنها تتصرف بتأثير تعويذة ما.

بدأتُ أصرخ وأنا أقفزُ من مكاني، وسمعتُ ضحكات كارول الشريرة تملأ المكان، ورأيتُ الرجل الغامض ينظر إليَّ ساكناً! وسرعان ما هاجمتْني الأفاعي وتجمّعت على يدي اليمنى المجروحة! وبدأتُ أشعر بعضَّاتها المميتة، أغمضتُّ عيوني مستسلماً، وأنا أظنُّ بأنَّ هذه هي نهايتي التي كنتُ أخشاها، بأنني سوف أموت جزاءَ أشياء أجهلها! ولكن لو كان ذهابي إلى العالم الآخر سوف يريحني من هذا الجحيم، فأهلاً بالموت المحتوم!

فجأة شعرتُ بهدوء غريب! فتحتُ عيوني فلم أرَ الثعابين، ظننتهم وهماً ولكن عضَّاتهم التي تملأ يدي اليمنى أكدت لي أنَّ ما أعيشه حقيقي، سيّما أنَّ الألم مازال موجوداً.

فُتِحَ باب السجن من قبل كارول، ودخلت بكل ثقة وجرأة، وقفت أمامي، وأكاد أقسم أن عيونها بدت أشدّ ظلاماً وسواداً من الليل.

بدأت تدور حولي، كنتُ أريد أن أنهض وأقتلها دون رحمة، ولكن خارت قواي، ولا أستطيع أن أقف أبداً، فضياعي يُضعفني، وسمّ الأفاعي سوف يقتلني من الألم!

قالت لي بنبرة استفزازية:

- اسمع يا هذا! لديكَ خياران لا ثالث لهما: إمَّا أن أتركك بهذه الحال وتموت خلال دقائق محدودة، أو أقطع يدك بأكملها لكي لا يصل السم إلى خلايا بدنك! لديك دقيقة واحدة للتفكير.

رمتْ عليَّ سهامها القاتلة، وأهدتني دقيقة واحدة للتفكير بمأساة جديدة. لم يمضِ عليَّ كثير من الوقت عندما فقدت عيناً واحدة، هل سوف أفقد يدي الآن؟ وما الخيار الذي أملكه؟ هل أفقد حياتي بأكملها، أم أفقد يداً واحدة؟

أمسكتُ رجليها بكل ذل واحتقار للنفس، وبدأتُ أقبّلهما وأنا أتوسل كالطفل:

- أرجوكِ يا كارول! لا أريد أن أخسر يدي، كيف سأعيش بهذه الحال؟

أنزلتْ رأسها نحوي، وبصقت عليَّ، وقالت دون رحمة:

- باقي من وقتك نصف دقيقة! القرار لك!

أغمضتُّ عيني والدموع تتساقط منها كأوراق شجرة هجرتها أمطار السماء! وقلتُ صارخاً:

- اقطعيها يا شيطانة... فأنا لم أعد أهتم!

ماهي إلا لحظات حتى رأيت يدي المقطوعة على الأرض، نظرتُ إلى السكين الحادة التي استخدمتها كارول وهي تبتسم، والدماء تنتشر على وجهها وأسنانها، عندها قالت ضاحكة:

- قلتُ لك بأنكَ سوف تندم على كل شيء!

حاولتُ أن أصل إلى رقبتها بواسطة يدي اليسرى، كم أتمنى أن أخنقها بيدي وأدفن معها شرورها الظالمة، ولكني لم أستطع فعلها لأني استسلمتُ وأغمي عليَّ من الألم!

صحوتُ من النوم وأنا مستلقٍ على سريري، استغربتُ من وجودي في هذا المكان! كيف وصلتُ إلى هنا؟ سالت دمعة من عيني، وأنا أرى حالي، فقدتُ يدي، وهناك من وضع ضمادة طبية على كتفي الأيمن، أصبح كتفي خاوياً دون يد! العين ذهبت واليد ذهبت، ما الشيء القادم الذي سأفقده؟

رأيتُ هاتفي النقال على الطاولة الصغيرة الموجودة بجانب سريري، أخذتهُ واتصلتْ بصديقي هاري، فأنا الآن أحتاجه كثيراً. حاولتُ أن أتصل به مراراً وتكراراً، ولكنَّ هاتفه كان يتحول إلى البريد الصوتي!

رميتُ الهاتف على السرير، وأغمضتُّ عيني وأنا أشعر وكأنني طفل فقدَ والديه! وحدة موحشة أعيشها حالياً مع رعب يسيطر على تفاصيل حياتي البائسة.

سمعتُ خطوات تأتي من الممر الخارجي، شعرتُ ببعض الأمل! من الممكن أن يكون هاري من أسعفَ كتفي، ولم يغادر المنزل حتى الآن.

- هاري.... هاري!

لم يُجبني... بل زاد وقع الخطوات التي تأتي من الخارج! نهضتُ من مكاني بصعوبة، أشعر بسكاكين من الألم تغزو جسدي الضعيف. خرجتُ من الغرفة وتلفتتُ في الممر بكل خوف وريبة! فرأيتهُ يقف على السلالم! ذاك الرجل ذو الرداء الأسود الذي يكون موجوداً في جميع لحظاتي المميتة، كأنه يراقب شيئاً في غرفة المعيشة من خلال عتبات الدرج! قررتُ أن أصرخ عليه بكل غضبي:

- أنت! ما الذي تفعله هنا؟ وماذا تريد؟

التفتَ إليَّ، ولكني كعادتي لم أستطع أن أرى وجهه! هذا الرداء الذي يلبسه يجعل شخصيته محصنة ومخفية!

نزلَ إلى الأسفل راكضاً! فقررتُ أن ألحق به. نزلتُ أنا الآخر، ولكني فقدت توازني وسقطتُ على طول الدرج. لم أصدق بأنني لم أكسر رقبتي بهذا الوقوع المؤلم! بحثتُ عن الرجل فلم أجده، ولكني لمحتُ شيئاً غريباً على الأرض! ورقة قديمة لونها كلون الرمال الداكنة، ممزقة من الأطراف، التقطتُها فقرأتُ فيها عنوان منزل. لا يوجد شيء آخر عليها، أنا لا أعرف هذا العنوان! قررتُ ودون تفكير أن أذهب إليه؛ لربما يكون خيطاً يساعدني في إنهاء هذه المحنة الأبدية!

وبالفعل، ماهي إلا دقائق معدودة ووصلت إلى المنزل المنشود الذي يكسوه اللون الأسود من الخارج، يبدو أنَّهُ مهجور. مَن سيسكن هذا المكان المرعب؟ رأيتُ مجموعة كبيرة من الطيور السوداء تحوم حوله بانتظام! وكأنَّ ما يفعلونه هو عمل فُرض عليهم من قبل أحد الأشخاص. توجد بوابة حديدية عتيقة أمام مدخل المنزل، اقتربتُ منها وفتحتها، فأصدرت ضجيجاً مزعجاً، أنا متأكد بأن هذا المنزل خالٍ من أي بشر.

وصلتُ إلى الباب الرئيسي، فرأيتهُ يفتح على مصراعيه دون أن ألمسه، وصوت همسات تأتي من الداخل:

- تياغو... تياغو!

انتابني الشعور بالفزع! ولكني وصلتُ إلى مرحلة أن أتقبَّل في حياتي أي شيء سوف أراه أو أسمعه؛ لطالما سوف أحصل على الأجوبة المفقودة!

دخلتُ بحذر، المكان مظلم جداً! لا توجد فيه إلا إضاءة خفيفة من شمعة موضوعة فوق إحدى الطاولات القديمة. الغبار في كل مكان! هناك أريكة وحيدة في المنتصف، لونها أسود، ومن الواضح بأنَّه لم يجلس عليها أحد منذ سنوات، في المنتصف يوجد سلم دائري يؤدي إلى الأعلى. مَن يريدني أن أكون هنا؟ وما الغرض من وجودي؟

- تياغو!

جاءني صوته من الأعلى، رفعتُ رأسي بهلع، فرأيته واقفاً على السلم مبتسماً، قلتُ له باستغراب:

- هاري! ماذا تفعل هنا؟

بادلني نفس نظرات الاستغراب حينما قال:

- هذا السؤال لابدَّ أن يخرج مني يا صديقي! هذا منزلي! ما الذي جاء بك إلى هنا؟

- أنتَ تعيش هنا؟

نزلَ من فوق الدرج ببطء وقال:

- نعم! كيفَ لك أن تنسى بأنَّ هذا المكان كان لوالديَّ قبل أن يرحلا عن هذه

الدنيا؟ لقد ورثتهُ! فأنا ابنهما الوحيد. ولكني مصدوم من نسيانك لجدران هذا المكان! فنحن قضينا الكثير من الأوقات سوياً هنا، لعبنا وتحدّثنا وسهرنا الليالي معاً.

لا أتذكر كل ما يقوله لي، ولكني ابتسمتُ رغماً عني وقلت:

- نعم...نعم! أنت تعرف بأنني متعب هذه الأيام، وذاكرتي بدأت تخونني.

نزلَ ووقفَ أمامي، وقال مستغرباً:

- لا عليك يا صديقي، إذن قل لي، ما الذي جاء بك إلى هنا؟

لا أعلم ما السبب الرئيسي الذي جعلني أكذب عليه، فقلتُ بكل هدوء:

- هل أحتاج سبباً كي أزورك يا هاري؟ فأنت أقرب أصدقائي، شعرتُ بأنكَ بحاجة إليَّ!

سكتَ بضعَ ثوان، ومن ثمَّ قال بلهجة جادة وحازمة:

- في الواقع أنا بالفعل كنتُ سأزورك اليوم، هناك شيء اكتشفتهُ، وأريد التحدث معكَ عنه.

- ماذا تقصد؟

جلسنا على الدرج، ولمَ الاستغراب؟ فهذا البيت الكبير لا يحتوي إلا على أريكة واحدة وصغيرة! شعرتُ بأنه سوف يلقي عليَّ بقنبلة جديدة.

- منذ أن بدأت مشاكلك وأنا أفكر في حالكَ كثيراً، فأنت لم تعد تياغو السابق! لم تعد ذاك الصديق الذي أعرفه. عندما اشتدّت الرياح على سفينة حياتك، وشعرتُ بأنكَ سوف تغرق في أيّة لحظة، قررتُ أن أتدخل، أنا أعترف لكَ وأعتذر على ذلك، بأنني لم أكن أصدّقك بأيّ حرف قلتهُ لي حول مسلسل الغموض الذي يحدث معك!

بدت الخيبة على وجهي، وأظنُّ بأنه لاحظَ ذلك، فأكملَ كلامه، وملامح الشفقة مرسومة على وجهه:

- في الأمس زرتكَ في المنزل، ووجدتكَ ملقىً في السرداب، ويدكَ تنزف بركة من الدم! صعقني المنظر! وأسعفتكَ في الحال، وضمَّدت جرحك، وجعلتك تنام في غرفتك.

- إذن أنتَ من أنقذني يا هاري؟

- نعم..نعم، ولكني خرجتُ سريعاً، ولم أذهب لقضاء أيّة حاجيات هامّة تخصني، رغم وجود الكثير منها، ولكنكَ يا تياغو أهم مهمة في حياتي الحالية.

ابتلعَ ريقه، وأخذ أنفاسهُ من جديد، وأكمل:

- جلستُ أفكر في حل يكذّب شكوكي بأنكَ تعاني من مشكلة ما، لأنَّ ما تقوله يا صديقي لا يصدقه أي عقل بشري! وتذكرتُ بأنني أعلم تفاصيل منزلكَ بالكامل، فأنا من كان موجوداً عندما اشتريتهُ في البداية، وعندما طلبتَ رأيي في أمور الحماية، وضعنا العديد من كاميرات المراقبة داخل منزلك وخارجه. وهنا استنتجتُ خطوتي القادمة: ضمَّدت جراح يدك، وذهبتُ وأخذتُ جميع التسجيلات الموجودة في الكاميرات.

يا إلهي، الكاميرات الموجودة في المنزل! كيف لي أن أنساها! أكملَ هاري حديثه وكأنَّه سوف يفك أكبر ألغاز الجرائم الموجودة في عصرنا الحالي:

- رأيتُ التسجيلات كلها، ومنذ بداية ظهور الطفلة في حياتك... لن أتكلم كثيراً سوف أريكَ إيَّاها بنفسك!

ذهبَ إلى إحدى زوايا غرفة المعيشة، وأخرج كمبيوتر محمول موضوع داخل شنطة سوداء، وجلسَ معي من جديد. فَتحَ أحد الملفات الموجودة في الكمبيوتر، وقال لي:

- لقد رتَّبتهم لك، أريدك أن تشاهد التسجيلات ومن ثمَّ سنتحدث.

أمسكت الجهاز بيد مرتجفة وخائفة، فتحتُ أول فيديو، فرأيتُ نفسي أخرج من غرفة المعيشة وبيدي شيء لا أستطيع أن أميزه! وفي الجهة الأخرى خارج المنزل، كانَ بيدي غطاء أبيض وخفيف، إنَّه خالٍ من أي شيء! وضعته على الأرض، وأخرجتُ من جيبي رسالة صغيرة، ووضعتُها داخل الغطاء، ودخلت إلى المنزل!

في الفيديو التالي، كنتُ أخرج من باب السرداب بحالة غريبة! وأبدأ بتكسير جميع أثاث المنزل، حالي كحال المجنون! أرى الفيديو ودموعي تتساقط من الصدمة! فجأة أذهب إلى باب المنزل وأفتحه، وأتلفَّت يميناً وشمالاً، وتقع عيوني على الغطاء الأبيض، أحمله وأدخل إلى الداخل، لقد كنتُ أحمل الهواء وأظنُّ بأنه طفلة!

الفيديو الثاني يُظهرني وأنا أدخل إلى المنزل وبيدي الغطاء الأبيض، أرى نفسي

وأنا أضعه على الأرض، وأصرخ على أشياء غير موجودة! إلى أن وصلت إلى المرحلة التي أدخلتُ فيها أصابعي في عيني، واقتلعتُها من مكانها وسقطتُّ أرضاً!

أخذ هاري الكمبيوتر من يدي، وغيَّر توقيت الفيديو، ورأيتُ نفسي أنهض من جديد! وأضمّد جرح عيني، لقد كنتُ أفعل كل هذا بنفسي! أكاد أجنّ ممَّا أراه!

الفيديو التالي يُظهرني وأنا أستلقي على الفراش وحيداً! أين كارول! فجأة نزلتْ إلى الأسفل وبدأتُ أتعارك مع شخص غير موجود في الواقع! إلى أن سقطتُّ على الأرض!

الفيديو الأخير هو ما أرعبني بشدة! كنتُ أبني ذلك السجن في السرداب، وماهي إلا لحظات حتى سجنتُ نفسي بداخله! وبدأتُ أصرخ وأبكي، إلى أن جاءت اللحظة التي قطعتُ فيها يدي دون أن أشعر!

أغلقتُ الكمبيوتر وأنا أشعر بالانهيار! وقفتُ وبدأتُ أصرخ في وجه هاري:

- ولكن كيف؟ كيف لي أن أبني وأتخيَّل شخصيات غير واقعية! ولماذا أصل إلى هذه المراحل من الجنون!

وضع هاري جهاز الكمبيوتر من يده، ووقفَ أمامي بوجه جاد، وقال:

- عندما زرتكَ في بيتكَ وكنت تتحدث عن الطفلة التي وجدتَها، كنت أرى بأنك تحمل الهواء! هنا انتابني الشعور بالخوف عليك! لربما تجربة السجن كانت قاسية عليك يا تياغو. من الممكن أن تكون لها جوانب سيئة على شخصيتك! أنت مريض، وما زاد تيقّني بأنك تحتاج إلى المساعدة هيَ كارول! فهذه الفتاة ماتت قبل أن تدخل إلى سجنك! ولكني كذَّبتُ نفسي عندما قلتَ لي بأنها قد رجعت! وماهي إلا أيام وتأكدتُ بأنك تعيش في وهم كبير! فأنا لم أرَ كارول ولو مرة واحدة خلال زياراتي لك، كنتَ تقول لي بأنَّها نائمة أو مشغولة، ولكنّها في الواقع متوفَّاة منذ سنوات طويلة!

بكيتُ كالطفل، وتمنيتُ أن أرجع رضيعاً من جديد! على الأقل سوف أتخلص من جميع ما يحدث لي الآن! قلتُ مصدوماً:

- ولكن لماذا يا هاري؟ بعد كل ما رأيته وعرفتهُ، أنا لا أعرف لماذا أعاني من هذه الصعوبات؟

لم يعلق على كلامي، بل جلسَ على الأرض ووضعَ يده على رأسه متأثراً، فأكملتُ

كلامي وقلت:

- منذ أن خرجتُ من السجن وأنا أعيش في عالم غير حقيقي! شخصياته من وحي خيالي! ولا أعلم من هم هؤلاء الناس في الأساس. عَذبتُ نفسي، وفقدتُ يدي وعيني، جميع من عاشوا معي كانوا من الخيال، إلا أنتَ يا هاري، كنت حقيقياً!

رفعَ رأسه من جديد، وقال بنبرة مخيفة:

- وما الذي يجعلكَ واثقاً بأنني حقيقي؟

التفتُّ إليهِ بفزع كبير، ورجعتُ خطوتين إلى الخلف، وقلتُ خائفاً:

- ماذا تقصد يا هاري؟

نهضَ من مكانه، ووقفَ أمام وجهي، وتغيرت ملامحه ونبرة صوته، وقال بنوع من التحدي:

- هل تظنُّ فعلاً بأنَّ جميع من ظهروا لك لا تعرفهم يا تياغو؟ جميعاً مرتبطون بكَ ارتباطاً وثيقاً! جميعاً همزات وصل بينكَ وبين ماضيك المقرف! ألم تسأل نفسكَ لماذا هذا المنزل يبدو بهذا الشكل؟ ألم تعرف ماذا فعلتَ بي يا تياغو؟ أنا صديقك المقرب هاري؟ لم يكن لديكَ أيُّ صديق، دمكَ الذي يسري في شرايينكَ يُخالطهُ مكرٌ غادر.

شعرتُ بثقل الكلمات على لساني، فقلتُ له مشككاً:

- أنا لا أعرف عمَّ تتحدث يا هاري، ولكن هل تقول لي بأنَّك غير حقيقي كالذين رأيتُهم من قبل؟

رأيتُ الرجل الغامض، صاحب العباءة السوداء يقف في الزاوية، فقلتُ لهاري:

- إذن مَن هذا الرجل الذي يقف معنا الآن؟ وكيف له ألَّا يظهر في أيّ فيديو من كاميرات المنزل؟

ابتسمَ هاري بطريقة مخيفة، وقال والشرّ يتطاير في عيونه:

- نحنُ وحيدان في المنزل يا تياغو! وجنونكَ الذي أعرفه حق المعرفة، لن يستطيع أن يخدعني، وجوابي على سؤالك هو: أنا كالباقين! وجميعنا جزء من ماضٍ وسلسلة قرارات اتّخذتَها واليوم تُعاقب عليها. وأنا من تركَ لكَ تلك الرسالة في منزلك. كنتُ

أعرف بأنك سوف تأتي في الحال! والآن سوف أدعك وحيداً في الظلام! تصارع ماتبقّى لك من عقاب!

قالها واختفى،، فاختفتْ إنارة الشمعة الموجودة، وحُبستُ في الظلام!

إنَّهُ قصر أسود اللون، طويل جداً، يسكن الشر في أعلى قبَّته! تأخذ منها الغربان المخيفة ذات العيون الحمراء المشعّة مسكناً لها! النيران تشتعل في أطرافه، ولكنها لا تحرقه! بل كانت كتعويذة حماية وُضِعت من قبل أحد السحرة.

في منتصف القصر، هناك غرفة مشعة باللون الأخضر، توجد داخلها كراسٍ فخمة تطير في الهواء الطلق، لونها أسود ومزخرفة بمثلثات وبرموز لونها أحمر مشعّ. يجلس عليها خمسة من أعضاء مجلس السحرة، برئاسة زعيمهم الأكبر السيد فالفو، الذي يجلس على عرشه الذهبي ممسكاً بعصاته السحرية.

المكان يعج بالنساء الساحرات الفاتنات، يطفنَ في الأرض دون أن يكتسينَ بأيَّة ملابس، يعملنَ في خدمة أعضاء مجلس السحرة، ضحكاتهنَّ تسحر المكان، وجمالهنْ يُسكر العقول! وكأنهنَّ مختارات بعناية كبيرة، عيونهنَّ تتلون بلون مختلف بين الحين والآخر، السحر يَشع بقوة في هذا المكان الغامض!

هناك جدلٌ واسع ينتشر في الغرفة، خمسة من الأعضاء تصل أصواتهم إلى السماء السابعة! الغضب واضح عليهم. الرئيس فالفو لم يكن منهم، كان ينظر إلى حسناواته الساحرات وهنَّ يستمتعنَ بالحياة، يبتسم مع ابتساماتهنّ، ويشعر بنشوة غريبة وبرغبة في الحياة بمجرد أن ينظر إلى عيونهنَّ البراقة.

- لقد طال انتظارنا!

- نحن بصدد وضع يدنا على الكون بأكمله، لمَ كل هذا التأخير؟

- لابدَّ من أن نتصرف في أسرع وقت!

- سكوت!

قالها الرئيس فالفو؛ فصمتَ الجميع خوفاً! هو حاله كحالهم بالضبط... ساحر! ولكنَّ حكمته ودهاءه جعلاهُ يترأس جميع الموجودين. والسبب الآخر هو امتلاكه لتلك القلادة على صدره، التي يمسكها بيده بقوة، وكأنَّه يهاب أن تختفي دون أن يشعر.

بإشارة منهُ، طارت إحدى الساحرات من الأرض إلى كرسيه الطائر، في يدها سلة الفواكة. أشار لها على حبة فراولة مشعة بطريقة غريبة؛ فوضعتها في فمه بكل حنان وهي مبتسمة. انتهى من أكل فاكهته الشهية، فحرَّك إصبعه تجاهها، فنزلت

إلى الأرض مخفضة رأسها بكل احترام.

نظرَ إلى أعضاء المجلس نظرة قاتلة، ومن ثمَّ قال:

- لقد وصلنا إلى مرحلة لم نحلم بها من قبل! بدأنا نضع يدنا على العالم بأكمله. وكل ما جنيناهُ كان من تدبير عقلي الراجح، ومخططاتي التي رسمتُها قبل سنوات عدة. كنَّا كالعبيد لدى منظمة الأحرار. لم نتجرأ أن نكشف هويتنا للناس، والآن باتَ السحرة رمزاً للمفخرة والعز.

سرقنا منهم سرَّهم الأول، وحبسناهم في غابة السافليين، التي حبسوا فيها أجدادنا لسنوات عدة، وأنا أشعر بخوفكم جيداً، تريدونني أن أحظى بالسر الآخر، ولكني أطمئنكم من مكاني هذا، بأنَّ السر الثاني سوف يأتي لا محالة، إنَّها مسألة وقت لا أكثر. السر الأول الذي امتلكتهُ كان يرجّح كفة البشر على حسابنا، كانَ جماعة الأحرار يرثونه عن أجدادهم. تاريخ البشرية بأكمله كان يحكي كثيراً عن انتصارات البشر على السحرة، ولكنّهم لم يفكروا باستمرارية هذه الانتصارات، لقد كانوا يمتلكون قلادة السافليين كما أطلقوا عليها، وهي مشتقة من سحر غريب، لم يستطع أحد أن يفكَّ طلاسمه! وكانت الطلاسم موجودة قبل وجود البشر على الأرض. استطاعوا من خلالها أن يتحكموا بالبشر أجمعين! وبإمكان الطلاسم أن تغيّر مسار حياتنا دون إرادتنا. بهذه القلادة الساحرة، كانوا يمسكون أبناءنا السحرة، وبتعويذة منها يتجرد الساحر من هويته. فهم يستطيعون أن يحولوا الساحر إلى إنسان عادي، نحن نستطيع الآن بعد امتلاك القلادة أن نحوّل البشر إلى سحرة، وهذه القوة لم أستخدمها حتى الآن! فالمبدأ موجود، إن لم تكن ساحراً؛ فأنتَ عدوي الأول! ولكن إذا اشتدّت بي الرياح؛ فسوف أستخدمها على البشر أجمعين. أنا حالياً أنتظر حصولي على السر الآخر، وعقدتُ هذا الاجتماع، لكي أقول لكم بأنني اقتربتُ جداً من هدفي، لن أكذب عليكم بالحكمة وبالذكاء، أنا نفسي لا أعلم ماهو السر الآخر! ولكنّي متأكدٌ بأنّه كنزٌ ثمين؛ لأنني أرى الأمل في عيون البشر المعلقين في غابة السافليين إلى يومنا الحالي، وهذا الأمل هو ما يجعلني متأكداً بأنَّ السر الآخر سوف يجعلنا نتحكم بتضاريس الكرة الأرضية. أعدكم بأنَّ الانتصار الكبير سوف يحين وقته، الساعة في ملعبنا، وعقاربها تمشي مع إيقاع خطواتنا.

عندما انتهى من كلامه، سادَ الصمت في المكان، مع علامات رضا واضحة أفصحتْ عنها ابتسامة أعضاء مجلس السحرة.

ظلام دامس يمنعُني من الرؤية! جلستُ على الأرض وأنا أتحسَّسها، شعرتُ بأنني غادرتُ منزل هاري، وشكوكي باتت في محلها. هل أنا في مزرعة؟ أم غابة؟ يدي تلامس تربة جافة!

حتى صديقي هاري الذي ظننتهُ أقربَ الخلق إليّ، كَشف عن وجهه الآخر، طوال هذا الوقت وهو يستغفلني! واليوم انضمَّ إلى القائمة الطويلة للأشخاص الذين يريدون الانتقام مني، وتبقى الأسباب مجهولة! من الواضح بأنَّ هناك من يتحكم بي وبعقلي، هل من الممكن أن أكون تناسيتُ بعضاً من تفاصيل أفعالي المشينة؟ ولكن لحظة! أنا أعلم بأنني قد سُجنت، ولكن ما السبب في حبسي؟ يا إلهي، كيف لي ألَّا أتذكر؟ فكِّرْ يا تياغو فكِّرْ! هل هذا المكان الموحش هوَ خلف ارتباكي؟ ولكن أيُّ ارتباك هذا الذي يجعلني أنسى سبب سجني؟ أنا لا أتذكر إطلاقاً ماذا جرى في ماضيَّ.

فجأة بدأتُ أرى ملامح المكان، بسبب إنارة تدريجيَّة للشموع التي تملأ المكان الذي أقف فيه، إنَّني في غابة ما! رفعتُ رأسي فلم أصدق عيوني! هناك أشخاص معلقون في أعلى الشجر، تلتفُّ حولَ أجسادهم حبال سميكة جداً، وكأنهم ينتظرون إعدامهم. الشيء الفاصل بين موتهم وحياتهم هي الأحصنة البيضاء ذات الأذيال المشتعلة بنار ملتهبة! كانوا يستندون عليها بأرجلهم، إنْ تحرَّك الحصان، ذهبت حياتهم إعداماً!

- أهلاً بك في كابوسكَ الجديد!

التفتُّ؛ فوجدتُ هاري يطير في مكانه! ياليتني أستطيعُ أن أقتلع رأسه من عنقه. شعرتُ بغضب شديد ينتشر في دمي، فقلتُ له حانقاً:

- ماذا تريد يا خائن؟ لماذا أنا في هذه الغابة؟

اتّسعت عيناه دهشة، وهو يقول:

- خائن؟ أنا لا أستحقُّ هذا المسمى يا تياغو! فالخيانة شعاركَ الأبدي. ألم تتعرف على هذه الغابة؟ إنَّها غابة السافليين التي تمَّ فيها قتل وتعذيب الآلاف! لا أظنْ بأنَّهُ يوجد مكانٌ أفضل من هذا، كي تعيش عذابكَ الجديد.

أشارَ بيده إلى البشر المعلقين، لأول مرة صرتُ أسمع نحيبهم العالي! كُسرَ قلبي من مرأى عذابهم، فأنا لا أعرف سبب تعليقهم بهذا الشكل، ومَن هم أساساً؟

أغمضتُّ عيوني، وقلتُ له بضعف لمستُهُ في صوتي:

- ما يحدث لي الآن، ماهو سوى خيال!

ضحكَ بصوت عالٍ، وقال مستفزاً:

- هل أنتَ واثق من ذلك؟ كيفَ يكون ما تعيشهُ هو وحي من الخيال! اسمع نبضات قلبك يا تياغو. أنتَ على أرض الواقع يا صديقي، وحتى الآن أنتَ تُكفِّر عن أخطائك الماضية. دعنا لا نُطيلُ حوارنا المملّ، أنتَ الآن وسط تحدٍّ، إن نجحتَ سوف تنقذ جميع المعلقين في هذه الغابة، وإن فشلتَ، سوف تُكتبُ بيدك شهادة وفاتهم!

الغضب بدأ يتصاعد أكثر فأكثر، فقلتُ له بكل خضوع:

- ماذا تريد مني؟

بدأ يطير في الهواء بطريقة مستفزة، تارة أراه يقف على إحدى الأشجار، وتارة أخرى أراه يقف أمامي ويقول:

- لماذا أنتَ بالذات تتعرض إلى هذه الظروف؟ ما هي الأفعال الشنيعة التي ارتكبْتَها يا تياغو؟

إنَّه يسألني سؤالاً أنا لا أعرف جوابه! ليتني أستطيع معرفة ذلك! فقلتُ له:

- لا أعرف!

دنا من وجهي كثيراً، وشممتُ رائحة فمه المقيتة! فقال:

- إجابة خاطئة.

خرجت نيران من عيونه، وتوجَّهت إلى أحد الأحصنة، فهربَ من مكانه، وشُنّق الشخص الذي كان يستند على الحصان في موته. صرختُ احتجاجاً بأعلى صوتي، شتمتهُ ولعنتهُ، ولكنَّه كان بليدَ المشاعر! ضحكاتهُ استفزَّتني كثيراً. صرتُ أركض لأمسكَ به بيدي الوحيدة، ولكنَّه راحَ يطير بعيداً في كل مرة أقتربُ فيها منه.

نالَ مني التعب بسبب ملاحقتي له، فقال مبتسماً:

- دعْنا نجعل هذا التحدي أكثر تشويقاً!

نفخَ من فمه، فخرجتْ منه حبيبات رملية سحريَّة لونها أزرق! وسرعان ما شعرتُ بأنَّ الدنيا تدور من حولي، سقطتُّ وأنا أحاول أن أبقي عيوني مفتوحة، ولكني لم أستطع.

فتحتُ عيوني أخيراً، فوجدتُ نفسي في مقبرة مخيفة! أسمع صوت همسات مفزعة تأتي من كل الاتجاهات. الثلج يهطل من السماء بلون أحمر كالدم! البرودة لا تُحتمل! صرت أرتجف بقوة، الضباب ينتشر بقوة، وأسمع صرخات تخرج من القبور، وكأنَّ الأموات يتألمون! الرؤية أصبحت مستحيلة بسبب الضباب، وبسبب أنني لا أملك سوى عين واحدة. صرتُ أسمع اسمي يخرج بشكل همسات من تحت القبور! لم أستطع تحمُّل هذا الرعب المخيف. مشيتُ بين القبور، وأنا أفكر بالموت. إنَّهُ أكثر فكرة مرهقة تمرّ في خاطر الإنسان.. كيف يأتي إلينا الموت فجأة؟ ماذا لو كنَّا غير مستعدين؟ في بعض المرات نعيش بسعادة مع شركاء حياتنا، ولكن خلال ثانية واحدة، من الممكن أن تلتفت إلى من تُحب، وتخاف عليه من الحزن إذا دقَّت ساعتك المكتوبة! يوم موتكَ مكتوب ومجهول، وهناك سببٌ إيجابيٌّ لعدم معرفتكَ بيوم وفاتك، حتى إذا كانت هناك شريحة كبيرة من الناس يقولون بأنَّهم سيرتاحون أكثر لو علموا بموعد آخر يوم لهم في حياتهم الدنيوية؛ فقد ينجحونَ في إصلاح ما ارتكبوا من أخطاء، أو ينجزون أشياء تكاسلوا فيها في الماضي. ربما هذا هو المغزى من عدم معرفتنا بيومنا الذي لا مفر لنا منهُ، ربما لنعيشَ الحياة لحظة بلحظة، ولنركضَ خلف أمنياتنا، ولكي نخطىءَ ونتعلمَ، ونحبَّ ونهجرَ، وندخلَ في تجارب لا نعلم ماهي نهايتها.

توقفتُ فجأة وأنا أنظر إلى فتاة صغيرة تقف أمام أحد القبور، لم أرَ وجهها بوضوح، كانت تمسك بدمية حمراء، اقتربتُ منها بخطوات غير مسموعة، ونظرتُ إلى شاهدة القبر، فوجدتهُ يعودُ إلى فتاة قد وافتها المنيَّة وهي بعمر السادسة، شعرتُ بوخزة غريبة في جسدي! وكأنَّ إنذار الخطر يحذرني من القادم، التفتُّ إلى الطفلة فجأةً، أخافتني كثيراً بعيونها الحمراء، وبأسنانها الصفراء البارزة، أشارت بيدها إليَّ، ومن ثمَّ إلى القبر، وقالت بصوت مرعب:

- أنتَ من فعلَ بي هذا!

وسرعانَ ما ركضتْ ودخلت عبر جسدي كالشبح! التفتُّ في الاتجاه الآخر فلم أجدها، رغم بشاعة المنظر الذي رأيتهُ، إلا أنني تعرفتُ عليها، إنَّها الطفلة التي وجدتُها عند باب منزلي، أو التي تخيَّلت وجودها.

سمعتُ صوت بكاء يأتي من شمال المقبرة، في هذه اللحظة ركضتُ ولا أعلم

لماذا؟ وصلتُ إلى مصدر الصوت، فرأيتُ رجلاً مسنّاً يحضن عجوزاً تقاربهُ في العمر، كانا يبكيان بحرقة كبيرة، وينظران إلى شاهدة القبر الذي يحمل اسم

(كارول).

لا أعلم لماذا بكيتُ معهما! وسرعان ما التفتّا إليَّ، وبدأت شرارات الغضب تخرج من عيونهما الحزينة، وهما يشيران إليَّ بإصبعهما:

- أنتَ سبب كل هذا! لقد حرمتَنا من ابنتنا!

بدأتُ أركض من جديد، أريدُ أن أخرج من هذا المكان الموحش! دموعي تتساقط على الأرض، وكأنَّها تتسابق مع أرجلي! سقطتُّ بسبب صخرة أعاقتْ طريقي، استسلمتُ لهذا السقوط المفاجئ، شعرتُ بأنَّ قواي قد خارت. لا أستطيع الهرب أكثر من شيء أنا في الواقع أجهله. شعرتُ بلمسة حنونة على رأسي! رفعتهُ بفزع فرأيتُها تنظر إليَّ بكل براءة، فتاة تبدو في عقدها الثالث، جميلة جداً، ذات عيون عسلية وواسعة، شعرها أسود طويل يصل إلى منتصف ظهرها، ابتسمت لي وساعدتني على النهوض، بدأتُ أنظر إليها بهلع:

- من أنتِ؟

رأيتُ سقوط دمعتها الحزينة، التي أجزمُ أنَّ طهارتها تستطيع أن تُنبت الأرض بالأزهار والحياة. شعرتُ في داخلي بأنَّني أعرفها حق المعرفة! ولكنّي لا أتذكَّرها! حالها حالُ الأحداث التي تجري في حياتي. أجابتني بصوت رقيق:

- أنا -بلير- يا تياغو! اسألْ قلبكَ عنّي! سوف نلتقي قريباً... قريباً جداً.

قالتْها وطارت كالفراشة في السماء، ظللتُ أحدّق بها إلى أن اختفت بين السحاب!

وماهي إلا لحظات بسيطة، حتى رأيتُ هاري يطير عالياً ويقترب من وجهي، وينثر عليَّ بعض الحبيبات الرملية الزرقاء، وبسببها عدتُّ إلى غابة السافليين من جديد! نظرتُ إلى هاري الذي بإشارة منه جعلَ جميع الأحصنة تغادر مكانها، وتمَّ إعدام الجميع بلمح البصر! كنتُ سأصرخ، سألعنُ، سأبكي، ولكنّي أعلم أنَّ هذا لن يغيّر من الواقع شيئاً! قال لي وهو يضحك:

- هل تظنُّ بأنَّك كنتَ ستنجح؟ هل كنتَ تثقُ بأنَّك ستنقذ أحداً، نصيحتي لك يا تياغو: لا تفكّر إلا بإنقاذ نفسك، فهي تحتاجُ إليك.

هذا آخر شيء أتذكَّره من كابوس هاري!

كيف وصلتُ وصلة أُخرى إلى غرفة نومي؟ لالا.. السؤال الأهم هو: هل كلُّ ما عشتهُ مع هاري حقيقي؟ أم هي أحلام لعينة حالها حالُ غيرها؟ هل كانت روحي منفصلة عن جسدي؟

كما حدث عندما كنتُ أرى كارول تعيش معي؟ يا إلهي: أيُّ عقل بشري يستطيع تحمُّل كل هذا؟

- تياغو...تياغو، حبيبي أين أنت؟

نهضتُّ من سريري مفزوعاً، سمعتُ صوتاً لم يكن غريباً! إنه لامرأة! رأيتُ باب غرفتي مفتوحاً قليلاً، والغريب في الأمر أنني طوال حياتي كنتُ أحبذ أن أغلقهُ قبل نومي، ولكن منذ أن خرجتُ من السجن، وعدتُّ إلى منزلي، وأنا أستيقظ وأراه بهذا الشكل، وكأنَّ هناك من يتعمد إفزاعي!

خرجتُ من الغرفة؛ فسمعتُ ضجيجاً يأتي من الأسفل. وقفتُ على الدرج بكل حذر، فعَلا هناك ضجيج! هل أنا أتعرَّض للسرقة؟ فكَّرتُ في الأمر وضحكتُ! أيَّة سرقة يا تياغو؟ أنتَ معتاد على أشياء أكبر من ذلك! نزلتُ إلى الأسفل؛ فازدادتْ دهشتي مما رأيته!

رأيتُ خمسة رجال، كل واحد منهم لديه أبشع الصفات الخلقية! وامرأة واحدة تغطي وجهها بنقاب أبيض شفاف، يطوفون حول إناء كبير وحديدي، تشتعل تحته نيرانٌ لونها أزرق، وكلَّما انتهوا من طوفانهم حولهُ، وضعَ أحدهم مادة لزجة لونُها أسود في الماء الموجود في الإناء، فتزداد الأهازيج والصرخات الصادرة عنهم!

رأيتُ قططاً كثيرة، وكلاباً، وغراباً لونه يميل إلى الاصفرار! ومجموعة من القردة ذوي العيون الحمراء اللامعة. إنَّهم لا يعيرونني أيَّ اهتمام! وكأنني لستُ موجوداً. فجأة بدؤوا يردّدونَ أبياتاً شعرية غريبة ومخيفة:

"الحياة ماهي إلا لحظات صغيرة

أرواحُنا ودماؤنا ستذهب في النهاية إليه

مهما كان مُرادنا وأحلامنا كبيرة

سيحقّقها؛ لأنَّ الكون متكىءُ عليه "

فجأة توقفوا عن فعل أيّ شيء، ونظروا إليَّ بطريقة غريبة! أقسمُ بأنَّ الحيوانات أيضاً كانت عيونها متمركزة عليّ! تقدمتْ الفتاة إليَّ وأزالت النقاب، يا إلهي لقد عرفتها! هي بلير التي ظهرت لي في آخر لحظاتي رعباً مع هاري! وشلّتْ كل حواسي بجمالها الأخّاذ، وكأنَّها ازدادت جمالاً. حقاً إنَّ سحرها الباهر يُلهم من يبحث عن الكمال الأنثوي.

ابتسمت لي وأمسكتني من يدي اليسرى، تقدَّمنا من الإناء المشتعل، ومددتْ يدي فوقه، جرحَتني بجرح صغير وسقطت دمائي داخل الإناء! لم أكن أريد فعل ما كانوا يريدون منّي فعلهُ! ولكني شعرتُ بأنني مسحورٌ ومخدَّر بطاقة غريبة استحوذت على جسدي!

منذ أول ثانية سقطت دمائي داخل الإناء، سمعتُ صوت الطبول تُقرع في المكان وتهزُّ جدرانه! هناك فرحة عارمة انتشرت بين الرجال المخيفين، وسرعان ما خرجوا من المنزل من خلال جدرانه! بل حتى الحيوانات اختفت بنفس الطريقة! بقيتُ أنا فقط مع هذه الفتاة بلير.

نظرتُ إلى عيونها العسلية الكبيرة والناعسة؛ فشعرتُ بأنني سألبّي أيَّ طلبٍ ستطلبه مني، ما هذه القوة الخارقة التي تمتلكها من خلال عيونها؟

قبّلتْ رأسي بكل حب، وأخذتني من يدي وجلسنا على أرائك غرفة المعيشة. الهدوء يعمُّ المكان، وكلامنا كان من خلال عيوننا! تنظر إليَّ وكأنها تعرفني حق المعرفة، إبتسامتها خلابة، وأسنانها البيضاء تعطيني دفعة قوية للاستمرار في هذه الحياة!

طوال هذا الوقت شعرتُ بأنَّ لساني قد رُبط! ولكني الآن أستطيع التحدث، فقلتُ لها:

- من أنتِ؟ وماذا تريدين؟ هل أنتِ بلير التي رأيتُها قبل قليل؟ أو ربما البارحة! فأنا لم أعد أميّز الأوقات وتعاقُبها في حياتي!

لم تُجبني في الحال، بل بدأت تتفحَّصني بعناية، والابتسامة لا تفارق شفتيها! نطقتْ أخيراً بصوت أشبه بأصوات أهل الجنَّة:

- أنا من كُتبتُ لكَ، منذ أن وُلدتَ في هذه الدنيا.

- وكيفَ ذلك؟ ماذا تقصدين بكلامكِ؟

وجهها البشوش يجعلكَ تحملق فيه دون أن ترمش. قالت بابتسامتها الفاتنة:

- أنا أدعى بلير، ساحرة عشيرة السافليين، لربما تستغرب من الاسم، ولكنه التصق بنا منذ سنوات طويلة؛ فأهلي عُذِّبوا في غابة السافليين على مر العصور، وسُحبتْ قواهم للأبد من قبل عشائر الإنس الملقبين بالأحرار. ولكن هذا لا يعني بأننا قد مُحينا من أصلنا! فمن يموت من شعبنا، يحيا مكانهُ عشرات السحرة!

قاطعتُها لأنها بدأت تُدخلني في دوامات لا يتحمَّلها عقلي:

- قبل أن تكملي، أريدُ أن أعرف ما الذي حصل في الطقوس الغريبة التي رأيتُها قبل قليل! وما دخلي أنا في كل ما تقولينه الآن؟

نهضت من مكانها، وجلست تحت أرجلي رافعة رأسها:

- لأنني ملككَ منذ الآن! لقد تمَّ تزويجنا يا تياغو! فأنا كما قلتُ لك: كُتبتُ لكَ زوجة منذ يوم مولدك!

نهضتُ من مكاني، وابتعدتُ خطوتين عنها، ولكنَّها تبعتني كالطفل. قلت مستغرباً:

- وكيف نتزوج بهذه السهولة؟ وما الغرض من هذا العمل؟ ما الذي يحدث معي في الآونة الأخيرة؟

لمستْ كتفي بكل حنان، وقالت لي:

- سوف أجيبكَ على كل ما تريد معرفته! ولكن اجلسْ من جديد وثِقْ بي.

جلستُ كما قالت لي، أو كما أمرتني من خلال جاذبيَّتها الخارقة، فأكملتْ حديثها قائلة:

- لقد حُكم عليكَ بالسجن من قبل، وأنتَ تعلم الأفعال التي اقترفتْها يداك! وأنا أعي تماماً بأنَّ لك خبرة في عالم السحرة، وتعرف تفاصيل أرض السافليين، هل أصبتُ في كلامي؟

هززتُ رأسي موافقاً، فأكملتْ:

- عندما انتهت عقوبتكَ، كنتَ ضائعاً وتريد الخلاص من حياتكَ البائسة، فأرشدكَ طريقكَ إلى العجوز الساحر دانييل، وعدكَ بأن تتخلص من جميع مشاكلكَ المتعلقة

بالماضي، وأبرمَ معك عقداً بأن ينقل إليكَ سحره وتعيش مرحلة مؤقتة، تطهّر خلالها روحك!

نظرتُ إليها بريبة وقلق، وقلتُ مشككاً:

- ماتقولينه لي نصفهُ حقيقي، والآخر واهم! فأنا أعلم أنني قد سُجنت، ولكنْ الساحر العجوز الملقب بدانييل، لم ألتقِ به طوال حياتي!

- حسناً قل لي، هل تثقُ بأنكَ تعي تماماً ما فعلتَهُ؛ لتنالَ عقوبة السجن؟

- بصراحه... لا أتذكرا!

ضحكتْ بلير بلطف، وقالت:

- دعنا نتحدث عن هذا الأمر لاحقاً، ولكن سوفَ أوضحُ لكَ أمر الساحر العجوز: إنَّك لا تتذكرهُ لأنَّ هذا هو سر الاتفاق الذي تمَّ بينكَ وبينه! فأنتَ لن تتذكر أي شيء إلا في الوقت المناسب.

- وما دخلكِ أنتِ بكل هذا؟

وقفتْ، وبدأت تدور حول رأسي، وهي تحاول أن تفهمني:

- كل ساحر في العالم يستمدُّ قوته من الشيطان نفسه، والشيطان بحد ذاته يساعده في هذه القوة، سوف تسألني كيف؟ سأجيبك! على مرّ العصور، عندما كانَ أفراد حزب الأحرار يحاربون السحرة بكل ما لديهم من قوة، لم يكتشفوا السرّ الذي يُخفيهِ معشر السحرة عنهم. وهذا السر ينصُّ على أنَّ كل ساحرٍ في داخلهِ ساحر آخر ولكنّه شيطاني. فعندما قرَّر الساحر العجوز دانييل نقل سحره إليك، لم ينقل قوىً خارقة، بل نقلني أنا، أهداني إليكَ لكي أخلّصك من هلاكك! وهذا يؤكد لنا السرّ الخفي في عالمنا. فعندما يموت ساحرٌ، يخرج الساحر الآخر من روحه، وهذا ما يجعل المعركة لا تنتهي أبداً: موت أحدهم يعني خروج الآخر لكي يكمل مشواره، ويبحث له عن شريك جديد لكي يعيش في أعماقه!

شعرتُ بثقل كبير في صدري ورأسي؛ فما أسمعه لا يطاق! قلتُ للمرأة:

- أنا حتى الآن لم أفهم مغزى كل هذا.

وقفت أمامي، ووضعت يدها على فمي لإسكاتي، ومن ثمَّ حوَّلتها إلى رأسي، وأغمضت عينيها، فشعرتُ بأنَّ روحي تخرج من جسدي.

أصبحت الدنيا بيضاء اللون! لم أرَ بلير في المكان، سرعان ما اتّضحتْ الرؤية: رأيتُ نفسي في غرفة ملونة، إنني أرى نفسي أحدّثُ رجلاً عجوزاً. سمعتُ أشياء أبهرتني! ورأيتُ نفسي أبرم الاتّفاق الذي حدّثتني عنه بلير.

إذن كل ما قالتهُ حقيقي. ولكن كيف لا أتذكَّر كل هذه التفاصيل؟ فتحتُ عيوني ووجدتُ نفسي قد عدتُ إلى المنزل، أنا في الواقع لم أفارقه، ولكنَّها جعلتني أرى حدثاً قديماً.

رفعتْ يدها عن رأسي، وقالت مبتسمة:

- هل صدَّقتني الآن؟

لم أكن أستطيع التعليق على ما رأيته! ولكنَّها صادقة. قلتُ مستفسراً:

- ولكن كيف لا أتذكر كل هذه الرواية؟

جلست في مكانها من جديد، وقالت:

- عملية تطهير النفس صعبة للغاية، والسحرة أمثال العجوز دانييل نادرون جداً! فهو من السحرة الكبار الذين يسمون " بالمتقاعدين " أي أنهم خدموا الشيطان لسنوات عديدة، وأنجزوا معه العديد من المهمات الناجحة، ويحق لهم أن يرتاحوا من طلباته، وأن يرسموا حياتهم برفقة الساحر الذي يسكنهم. والعجوز دانييل امتلكني لسنوات عديدة، وأظن أنَّهُ قد حررني وأهداني لك، لأنَّه يحتاج أيضاً لتطهير نفسه مثلك. يريد أن يخرج من الدنيا كما دخلها، أبيض! دون سحر أو أشياء خارقة.

وضعتُ يدي على رأسي، وبدأتُ أفكر بعمق في المعلومات التي سمعتُها، فقلتُ لها:

- هذا يعني بأنَّكِ خطة وُضعت لي من قبل العجوز الساحر، وجميع ما يحدث لي مرسومة أحداثه من قِبَله؟

قالت بنوع من الحماس:

- أصبت.

- إذن ما حدثَ لي من مواقف غريبة، ويدي التي فقدتُها، والعين التي حُرمتُ منها، كل هذا جاء من العقل المدبر... العجوز؟

- نعم، أنت تعيش الآن في مرحلة مؤقتة. بمجرد أن تنتهي منها سوف أعيدُ إليكَ جميع ما فقدتهُ، لأنَّ هذه العملية ماهي إلا الرجوع إلى بياض روحك كما خُلقتَ أول مرة، أنت تُكفّر عن أخطائكَ الآن، وبمجرد أن تنتهي من رحلتكَ الطويلة، سوف تسترجعُ عينكَ ويدكَ.

- لحظة واحدة! لقد قلتِ: رحلتكَ الطويلة! هل هذا يعني بأنّني حتى الآن لم أصل إلى النهاية؟

شعرتُ بحزن كبير خلف نظراتها، قالت متأثرة:

- إن كنتَ تريد الحقيقة، فأنا ظهرتُ لك في توقيت مبكر، ظهوري في حياتك كان مُكتوباً في آخر فصل في تطهير روحكَ، ولكني رأيتكَ تكادُ تفقد صوابك؛ لهذا اختصرتُ مسافة رحلتكَ المكتوبة من قبل العجوز الساحر، وقررتُ أن أخرج لكَ في المقبرة التي وضعكَ فيها صديقكَ هاري. أنا لا أستطيع أن أترككَ بهذهِ الحال، ولكنّي أيضاً لا أستطيع أن أجعلكَ تتخطّى مراحل التطهير، فأنا كما قلتُ لك قد كُتبتُ لكَ منذ يوم ولادتك.

لازمَني الشك في كلماتها الغريبة، فقلتُ لها مستغرباً:

- كيف تقولين لي بأنّكِ قد كتبتِ لي منذ ولادتي، وأنتِ بنفسكِ تقولين أنّكِ كنتِ طوال حياتك مع الرجل العجوز؟

تغيرت ملامح وجهها، ورأيتُ الغضب يتطاير من عيونها، فقالت بنبرة مفزعة:

- هل تظنني أكذب عليك؟ كيف تشكّك بأنني مكتوبة لكَ وأنا معك الآن؟ المكتوب باختصار هوَ أن تبقى مع شخص حتى تموت. أنا بقيتُ مع العجوز الساحر لمدة طويلة، ولكني انتقلتُ إليك. هذا ما يخبّئهُ القدر لك ولي، وسوف أبقى معك حتى أموت.

شعرتُ بالغضب من طريقتها في الحديث معي، فانفجرتُ قائلاً:

- وما الذي جلبَني إلى عالم السحرة والخزعبلات؟ ما الرابط بيني وبينكم؟

تصاعدَت حدّة الحوار بيننا، وبدأت معركة رمي الكلام بكل قسوة وبلا هوادة:

- وهل نسيتَ لماذا دخلتَ السجن؟ هل نسيتَ بأنّك كنتَ ساحراً؟ يا لغبائكَ يا تياغو! جميع ما مررتَ به كان جزءاً من تخلّصك من الماضي، فهذا التطهير مسحَ من ذهنكَ الكثير من الأشياء، منها اتّفاقك مع الرجل العجوز. أنتَ لم تدخل السجن صدفة، هناك

من وضعكَ في السجن لأنكَ اخترتَ طريق السحرة، وحاربتَ جماعة الأحرار! وسوف أتلو عليكَ وأوضح لكَ جميع الصور المفقودة: فالطفلة التي وجدتَها، ماهي إلا جزء من ماضيك، هي نفسها التي قدَّمتها قرباناً للسحرة للتقرّب من الشيطان عندما كنتَ ساحراً. وحبُّ حياتك كما تزعم الملقبة كارول لم تحبَّها من قبل! وما هذه المشاعر إلا جزء من التطهير النفسي الذي رسمهُ لك الساحر العجوز. كارول فقدت أعزّ ما تملك بسببك! أوهمتَها بحبك وبإخلاصك، ولكنها كانت جزءاً من طقوس تقرّبكَ من الشيطان نفسه. أرجوكَ لا تدعني أندم لأنني كُسرت قواعد اللعبة، وظهرتُ لك في وقت مبكر.

لأول مرة في حياتي أشعر بثقل في لساني! لا أعرف بماذا أجيبها، فقلت:

- وصديقي هاري؟

رغم قساوة كلماتها التالية، إلا أنَّها قالتها دون رحمة، وجعلتني أحتقر ذاتي:

- هاري كان من أقرب الأصدقاء إليك، كنتما في جماعة الأحرار، وحاول مراراً وتكراراً أن يبعدكَ عن طريق السحرة، ولكنكَ ذبحته بدم بارد! كنتَ لا تستطيع تحمُّل فكرة أن يقولَ لكَ أحدهم بأنك خاطئ. هل تعلم بماذا كانوا يلقّبونك؟ بالأفعى! لأنكَ تلسع الجميع، أصدقاء كانوا أم غرباء.

ماسمعتهُ كانَ ثقيلاً جداً، والأقسى من ذلك أنني لا أتذكر كل التضحيات التي قدّمتُها لعالم السحر! فقلت لها مستفسراً:

- هل هذا يعني بأنَّ الرجل الغامض ذا الرداء الأسود كان في صفّكم؟

نظرت إليَّ باستغراب كبير وقالت:

- أي رجل تقصد؟

- هناك رجل لا أرى ملامح وجهه! يظهر لي بين الحين والآخر، لا يتحدث معي كثيراً، ولكنه دائماً ما يطلب مني الحذر!

زاد الاستغراب على ملامح وجهها، وقالت مشككة:

- أنا لا أعرف عمَّن تتحدث يا تياغو، لربما أنتَ تتوهم وجود هذا الشخص! أو هذا حدث مرتَّب من قبل الساحر العجوز ولم يخبرني بِهِ.

لم أكن أريد الخوض معها في نقاشات سوف تضعني في دوامات جديدة،

فقلتُ لها:

- إذن، ما الخطوة التالية؟

نهضت من مكانها، وقالت لا مبالية:

- سوف أغيبُ عنك. أنا خرجتُ بحياتك لكي أخفّف عنك، وأقول لكَ بأنك تسير في الطريق الصحيح. اصمدْ يا تياغو؛ وسوف تتحرر روحكَ إلى الأبد من أعباء الماضي. ولكني أؤكد لكَ بأني أقرب أصدقائك الحاليين، وسوف نكون معاً ونعيش حياة سعيدة. ولكن عليك أن تخرج من هذا التطهير... وعليك أيضاً أن تتذكرني وتنقذني، فأنتَ أملي الوحيد.

هذا ما سألته! أتذكَّرها وأنقذها! ولكن كيف وممَّن؟

رأيتُ حزن العالم كله يتجمع في عينيها، قالت متأثرة:

- لا أستطيع أن أبوح لكَ بأكثر من هذا؛ لأنني من الممكن أن أعاقب على كل حرف يخرج من فمي! لربما تنظر إليَّ بأنني إنسانة غريبة، ولكن مع الوقت سوف تعلم الكثير، ومهما علمتَ، أستحلفكَ يا تياغو أن تساعدني وتنقذني.

قالت كلامها واختفتْ كالشبح! وتركتني أحلل كلامها، وأحاول فك الألغاز المتشابكة!

جلستُ في غرفة المعيشة أفكر، أحاول أن أجمع شتات نفسي، إذن جميع ما يحدث لي نتيجة اتّفاقي مع الساحر العجوز دانييل! هذه عواقب أخطائي التي ارتكبتُها بحق جميع الأشخاص الذين ظهروا لي في منزلي. ولكن ما سبب هذا التطهير؟ لو كنتُ في الماضي ساحراً، وعُوقبتُ بالسجن أثر جرائمي المظلمة، فلماذا يساعدني هذا العجوز بكل هذه السهولة؟ إنَّه يخفي سراً! وماهي حكاية بلير؟ خَرجت من العدم حالها كحال كارول، التي ظننتُها حبيبتي، ولكن حالها حال غيرها، سعت نحو الانتقام! إذن ما الذي يجعلني أثق ببلير؟ أنا أتحدث عنهم وكأنَّهم بشر حقيقيون! إنهم صورٌ مسحورة لتعويذة ألقيت عليَّ بسبب توقيعي على ذلك الاتفاق مع العجوز. خرجوا لي بأرواحهم الغاضبة في سبيل تعذيب ضميري، وأعودُ إلى نفس السؤال الهامّ: هل جميعهم موتى؟ هل هذا يعني بأنَّ بلير ليست حقيقية؟ ولماذا تريدني أن أساعدها؟ ما المشكلة العالقة بها؟

فجأة، سمعتُ صوت باب السرداب يُفتح ببطء، ألقيتُ نظرة وأنا في مكاني فلم أجد أحداً! قررتُ أن أنهض وأتوجَّه إليه بحذر. فتحتهُ على مصراعيه؛ فوجدتُ ألبوم صور قديم على أول عتبة من السلم! أخذتهُ ورجعتُ مسرعاً إلى غرفة المعيشة، جلستُ وفتحتهُ واتّسعتْ عيني دهشةً! إنه يحتوي على صور لي ولبليرا لحظات سعادة غامرة تترجمها صورٌ قديمة نوعاً ما. هناك المئات منهم في الألبوم، إنها على حق، أنا أعرفها جيداً، علامات الحب واضحة في عيوني من خلال الصور. إن كان هذا تطهيرٌ لروحي كما يزعم الساحر العجوز، فما يحدث لي أبشع من الجرائم التي ارتكبتُها! اللعب بمشاعري بهذه الصورة شيء مقزز جداً. رفعتُ رأسي عن ألبوم الصور؛ فوجدتُ بلير تقف في إحدى زوايا المكان. صورتها مشوشة جداً، تنظر إليّ مبتسمة، وكأنَّها فَرحت عندما صدَّقتُ كلامها! وماهي إلا لحظات حتى اختفتْ! لا أعلم إن كانَ ما رأيتهُ حقيقياً أم خيالياً! ولكنّي قررتُ أن أصعد إلى الأعلى، وأن أنال قسطاً من الراحة؛ فأنا مرهقٌ جداً، وروحي بدأت تتلاشى من الضعف.

استلقيتُ على سريري، والتفكير لا يريد أن يفارقني. أكثر شيء يشغل تفكيري هو انتهاء أمد هذا التطهير الروحي. شعرتُ بأنني ندمتُ كثيراً على زيارتي لذلكَ العجوز، لربما هذه التجربة حطّمتني أكثر مما أصلحتني!

شعرتُ بومضات سوداء تضرب عيني، حاولتُ أن أركّز على الغرفة، فلاحظتُ أنَّ جميع مصادر الإضاءة فيها مفتوحة! هناك شيء يجعل رؤيتي تضعف، إلى أن حلَّ السواد على عيوني، صرختُ بأعلى صوتي، ولكن مع كل صرخة كنتُ أتأكَّد بأنَّه لا يوجد أحد في المنزل لينقذني.

عادت لي الرؤية من جديد؛ فوجدتُني أقفُ على رجلي، والمكان قد تغيَّرا! أمسكُ بيدي شعلة من النار، في مكان ليس له ملامح واضحة: هناك ثلاثة أبواب ملتصقة ببعضها البعض، وكأنها تخفي اختباراً جديداً لي، أو كابوساً مستمراً.

تقدَّمتُ نحو الباب الأول الواقع إلى اليمين، فتحتهُ ودخلت، حتى مع شعلة النار التي بيدي، كنتُ لا أستطيع أن أرى شيئاً. سمعتُ صرخات امرأة! ميَّزت الصوت، إنَّه لبلير! تقدَّمت أكثر بخطوات مرتجفة، وكأنَّ هذه الغرفة لا تريد أن تنتهي! اتّساعها مخيف!

فجأة أضيءَ نور أعلى السقف؛ شعرتُ بالعمى من قوته! فتحتُ عيني بصعوبة، فوجدتُها أمامي، بلير مقيّدة بالسلاسل إلى الجدار الحديدي، علامات التعذيب واضحة على جسدها العاري، الدماء تسيل من فمها بغزارة!

- بلير؟

رفعت رأسها وهي تبكي، حاولت أن تتكلم، ولكنَّها تواجه صعوبة في ذلك، نظرات عيونها أبلغ من جميع حروف اللغة العربية. حاولتُ أن أنقذها، ولكن شعرتُ بحاجز غير مرئي، يفصل بيني وبينها. عندما رأتْ أنني لا أستطيع الوصول إليها، بدأت تصرخ بغضب وتبكي بحرقة، بكيتُ أنا الآخر ممَّا أراه. وجّهتُ الشعلة النارية التي أمسكها صوب الحائط السحري، ولكنني حُوصرت بنيران تشعل الغرفة بأكملها! إلى أن وصلتْ إلى جسد بلير وبدأت تحترق! يا إلهي، ماذا فعلتُ؟

رأيتُ نفسي مرة أُخرى في نفس المكان، أرى أمامي الأبواب الغامضة. الباب الذي دخلتهُ يشتعل بالنيران، وبقيَ أمامي بابان آخران! دخلتُ إلى الباب الذي يقع في المنتصف، فرأيتُ نفسي أمسك بيد بلير ونرقص على إيقاع موسيقى هادئة، وكأنني أشاهد حدثاً قديماً! لحظات الرومانسية والحب طاغية على المكان: أنظر إليها بحب كبير، وتبادلني نظرات وفية لا تخون، فجأة بدأ حوار بيني وبينها، حوار قديم لا أتذكره.

- إنَّه يستغلكَ يا تياغو! أنتَ تعرف ذلك! عليك أن تقلب الطاولة عليه! فأنتَ أحقّ منه بكل الصلاحيات التي يتمتع بها.

- كيف أستطيع فعل ذلك يا بلير؟ فهو قويٌّ جداً! وأنا لا أستطيع أن أحظى بالحكم قبل أن يموت.

- أنتَ أقوى منه يا تياغو، أنا من انتشلكَ من الضياع، وجعلكَ ترى الصورة الكاملة.

لقد حوَّلت مسارك من جندي في مجموعة الأحرار، إلى ساحر مثابر وقوي، جميع السحرة يعشقونك! وأنا معك: حبيبة قلبك، وسأكون زوجتك المستقبلية. لقد ساعدتكَ في الكثير من الأمور التي تقرّبك من الشيطان الأعظم، ونجحتَ في كل مهماتك. علينا أن نخطط للإطاحة به، وسوف أكون معك لحظة بلحظة. تخيَّل أن تضع يدك على هذا العالم بأكمله! سنضع خطة لن يكتشفها أحد، ماذا تقول في هذا يا حبيبي؟

- لا حاجة بي للتفكير طالما أمتلكُ قلبكِ الكبير، فأنا غير مرحَّب بي في جماعة الأحرار، ولا أريد ترحيبهم القذر، أنا ساحر. ويوماً ما سأكون أعظم ساحر في العالم كله، وسأجعل الجميع يخضعون لي.

رأيتُ ابتسامة النصر تعلو وجه بلير، وما يضايقني أنّني لا أتذكر سبب هذه المحادثة!

رجعتُ مرة أخيرة إلى مكاني، ولم يبقَ سوى الباب الأخير، لقد سئمتُ من كل هذا. فتحته بقوة ودخلت، وضعتُ من جديد في الظلام الدامس! أسمع ضحكات شريرة، همسات غير مفهومة. أيقنتُ بأنني لستُ وحيداً في هذا المكان! فجأة سمعتُ صوت أقدام تجري نحوي، شعرت بالرعب الشديد من حيلتي الضعيفة، وماهي إلا ثوانٍ حتى بانت الصورة: إنها بلير تركض بأقصى سرعتها في اتّجاهي، إلى أن وقفت وأمسكتني من عنقي وهي تصرخ خائفة:

- إنَّه يعذبني يا تياغو! أرجوكَ أنقذني! أنا لم أخرج إليك إلا للمساعدة، ولكنَّه يعاقبني على ظهوري لك، أرجوك ساعدني.

بدأت تصرخ من جديد، واشتعلَ جسدها بأكمله بالنيران! ازدادَ الظلام في المكان، فلم أعد أراها أو أرى أيَّ شيء!

نهضتُ مفزوعاً، تحسَّستُ جسدي بأكمله، لا أعلم لماذا شعرتُ بأنني أحترق! ملابسي مبتلة جداً بسبب ما عشته للتو. حاولتُ أن أستلقي من جديد على وسادتي، ولكنَّ الصوت الذي سمعته، جعلني أنهض مفزوعاً:

- كيف حالك يا تياغو؟

نظرتُ إليه والعرق يتصبَّب من رأسي بغزارة، عيوني لا تصدق! إنه هو، العجوز الساحر دانييل! ينظر إلي بابتسامة مخيفة! ملامح وجهه تجعلهُ يبدو أصغر ممَّا هو عليه، عندما رأيتهُ وهو يوقّع معي على العقد ذاك.

قلتُ بنبرة مرتجفة، غير مصدّق:

- دانييل؟

ضحكتُ ببرود قاتل، وقالَ وهو يقترب مني:

نعم! أنا دانييل! أظنُّ بأنكَ تستغرب وجودي هنا، ولكنّه لسبب وجيه؛ فأنت في المرحلة النهائية من اتّفاقنا الذي حدث منذ يومين.

يومان! جميع ما حدثَ لي كان خلال يومين فقط! ولكن كيف؟ وهذا ما سألته لهُ. أجابني بضجر ملحوظ:

- نعم! جميع ما عشتهُ كان خلال يومين. تخيَّل ماذا أستطيع أن أفعل بكَ في غضون سنة!

- أنا لا أفهم شيئاً! ما الذي يحدث لي؟

- سوف أجعلك تشاهد جميع وقائع حياتك كالفيلم، وأقصد بها التي محوتُها عن قصد من ذاكرتك، عندما وافقتَ على إبرام العقد الدموي.

يومُنا الحالي!

هل مخطوطاتي مشوّقة حتى الآن؟ ما كشفتهُ لكم من حقائق كالإبرة في كومش قش! هل تشوَّش عقلكم؟ هل شعرتُم بالتوهان والضياع؟ لا ألومكم! فهذه القصة غريبة ولا تُصدق!

وضعتُ قلم الريشة من يدي، قررتُ أن أريح يدي من الكتابة. وقفتُ في شرفة الغرفة، أرى الناس يمرّون تحت بنايتي الضخمة. منهم من يضحكون، وبعضهم ذوو وجه شاحب، تسير بهم خطواتهم إلى المجهول! حال البشر صعب، خاصة في أيامنا هذه، فهذه الدنيا تصعُب أكثر فأكثر مع مرور كل سنة. قليلون مَن هم سعداء في هذا الكون. ومن وجهة نظري البسيطة، فإنك تستحقُّ لقب سعيد إن كنتَ تستطيع أن تنام على وسادتكَ ليلاً، وعقلكَ خالٍ من الهموم. لكن من جهة أخرى، مَن يحاول أن ينام وفي عقله أفكار لا تنتهي، فهذا هو مَن تمتلىء حياته بالشقاء.

عدتُ إلى الداخل، ووقفتُ أمام المرآه، نظرتُ إلى نفسي طويلاً. صحيح أنَّ شعور الوحدة لا يفارقني، وهذا كان خياري الشخصي، ولكنني لا أملك سواه! حتى اليوم أظنُّ بأنني سلكتُ المسار الصحيح. فمخطوطاتي تتناول حكايتنا الجبارة. لن أتكلم عن نفسي الآن، وسوف نرجع لما حدثَ مع تياغو والساحر العجوز دانييل، يا من تقرأ كلماتي: تمعَّن فيها جيداً، فهي بخط يد الكبير جداً... إبليس!

منذ زمناً طويل،و في إحدى الليالي المظلمة، في غابة السافليين المشهورة التي تُضاء ملامحها من خلال الشعلات النارية المحمولة من قبل الناس. يكتظ المكان بالحضور الكبير لأعضاء مجلس الأحرار، والبشر المناصرين لهم. تمتزج هتافات النصر والفلاح التي يطلقونها. هتافهم العالي يدل على هيمنتهم، وعلى كسر قوة السحرة المستمرة يوماً بعد يوم.

هناك ساحرة سمراء اللون، عيونُها خضراء مشعّة، شعرها أسود غجري لامع، معلّقة في منتصف الغابة، مستعدة للإعدام في أية لحظة!

تقدَّم رئيس الأحرار السيد ليو وسط تصفيق حار من الجميع، أشارَ بيده لإسكات الجميع، وسرعانَ ما خضعوا له. شخصيته العظيمة، وإنجازاته في مطاردة السحرة، جعلاهُ بطلاً قومياً في نظر جميع هؤلاء الناس.

رفعَ قلادته التي يضعُها حول عنقه، وقال بصوت واثق وقوي:

- اليوم سوف نشهد محاكمة جديدة لهذه الساحرة الملقبة ببلير. نصرُنا اليوم مضاعف يا إخوتي؛ لأنَّها من أكبر الساحرات. كانت تتخفّى خلف الظلام وطريق الشيطان اللعين، ولكن هذا سيكون درساً لها ولجميع السحرة، الذين أؤكد لكم بأنهم يختبئون كالفئران. بقوتي الممزوجة بهذه القلادة... قلادة الأحرار! سوف أحوّلها من ساحرة شريرة، إلى فتاة صالحة. سنغسل روحها من جديد، ونرجعها كما خُلقت!

ضحكت الساحرة بلير بصوت مستفزّ، فالتفتَ إليها السيد ليو، وقال بكل غضب:

- ما الذي يضحككِ أيّتُها الساحرة؟

رفعت رأسها، بانَ الشرّ الكبير على عيونها، فالسواد مرسوم تحتهما بشكل واضح. قالت باستهزاء:

- ومَن قال لك بأنني أبحثُ عن الهداية؟ لقد وجدتُها في عالم السحر! إن كنتَ تريد أن نتكلم واقعيّاً، فأنتم من تحتاجون إلى هذه الهداية. تباً لغبائكم الذي يجعلكم لا تتجهون إلى طريق السحر العظيم، إنكَ جبان يا سيد ليو! تستخدم هذه القلادة التي ورثتَها عن أجدادك، ولا تؤمن بالقتال المنصف. قاتلْني دونها إن استطعتَ. ولكننا نعلم بأنكَ لن تصمد معي دقيقة واحدة. أنت تتحكّم بنا وبمصائرنا من خلالها، أنتَ دونها لا شيء، مجرد حثالة بشرية.

اضطربتْ ملامح السيد ليو، وانفجر الغضب من عيونه. لقد شعرَ بالذل بسبب كلماتها، وبسبب نظرات الناس المصدومة. زُلزلت شخصيته القوية؛ فقال لها صارخاً:

- طريق السحرة ماهو إلا طريق للشيطان اللعين! في بداية الأمر، أشفقتُ عليكِ يابنتي، ولهذا قررتُ أن أطهّر روحكِ بقلادتي التي تلومينني لأني ورثتُها عن أجدادي المخلصين، ولكن بعد هجومكِ الشنيع، سوف أعلن بحقكِ الحكم بالموت.

دوَّتْ أهازيج الناس تملأ المكان، وبدؤوا يصيحون بصوت عالٍ:

" الموت الموت للساحرة! ".

بإشارة من السيد ليو، تقدَّم أحد الحراس الخاصّينَ به، ممسكاً سيفاً فولاذياً تشتعل أطرافه بالنيران الحارقة. وقفَ عند رأس الساحرة بلير، رفع السيف لينحر رقبتها، وفجأة! انطفأت أضواء النيران المنتشرة بيد الناس، وحلَّ الظلام في المكان! علا الصراخ والذعر بين الموجودين، وماهي إلا لحظات حتى رجعَ كل شيء إلى ماهو عليه. لكنَّ الساحرة بلير اختفت بشكل مفاجئ!

ارتسمت علامات الدهشة والغضب على وجه رئيس الأحرار السيد ليو، وبدأ الناس يرددون بخوف كبير: " لقد هربت... لقد هربت الساحرة! " .

ثمَّةَ غرفة سوداء اللون، فقيرة الملامح، تكاد تكون معدومة الأثاث. لا يوجد فيها سوى سرير صغير ومُهْتَرِئ، تنام عليه الساحرة بلير. ويجلس معها شاب يضع كمادات باردة على رأسها، محاولاً أن يخفض من حرارتها المرتفعة. ينظر إليها بحب وبإعجاب، يلامس شعرها الغجري المغري، يضع يده على خدّها الذي يتسم بنعومة خدود الأطفال. يبتسم لها وكأنها تبادله نفس الابتسامة.

نهضَ من مكانه وبدأ يدور حول نفسه، يفكر في فعلته الطائشة، تارةً يلوم نفسه، وأخرى يهدىء من روعها. لا يعلم إن كان ما فعلهُ خطأ أم صواباً! يشعر بالضياع النفسي، ولكن سرعان ما رجعَ إلى رشده عند سماع صوتها المرتجف:

- أنا أعلم من أنت. لماذا جئتَ بي إلى هنا؟ ماذا تريد يا هذا... تكلّم.

التفتَ إليها وابتسمَ بطريقة سلمية. اقتربَ منها بضع خطوات، فاحتضنت غطاء السرير، وكأنها تحتمي به منهُ! جلس إلى جانبها، ولمس شعرها قائلاً:

- لا أريد سوى إنقاذكِ.

نظرت إليه باستغراب كبير:

- ولماذا أنتَ بالذات تساعدني؟ هل نسيتَ من أنت؟ أنتَ تياغو من حزب الأحرار. أنا أعرف جميع أعضاء هذا الحزب القذر.

ضحك بصوت عالٍ، فزاد استغرابها! وصرختْ:

- لماذا تضحك؟ أنا أهينُ كرامتك، لماذا لا تغضب؟ هل تستهين بي يا هذا؟ أستطيع أن أمحوك بلمحة بصر، فأنت لا تمتلك قلادة كالتي مع رئيسكم الجبان.

أخذ تياغو نفساً عميقاً، وقال:

- إن كانت نيّتي أن أؤذيكِ، فلماذا ساعدتكِ على الفرار من عقوبة الإعدام؟ لماذا جلبتكِ إلى هنا؟ المكان الوحيد الذي لن يستطيع أحدٌ أن يشك به؟ انظري إلى زوايا المنزل، لا أحد يستطيع أن يأسركِ من جديد، لقد اتّخذتُ قراراً بإنقاذكِ يا بلير، عليكِ أن تشكريني.

بدأت تتفحّصه بنظرات غامضة، ومن ثم قالت بحذر:

- وكيف لي أن أشكرك، وأنا لا أعلم دوافعك يا تياغو! لماذا أنقذتني؟

وقفَ من جديد، وبانت الحيرة على عيونه الضائعة، قال بكلمات صادقة خالية من الأكاذيب:

- أنقذتكِ لأسباب عدة، أولها بأنني لا أشعر في المكان الصحيح، وما أقصده هو جماعة الأحرار. أنا أهوى السحر والسحرة، ولكنه شيء قد كُتب عليَّ من صغري. فالإنسان يولد ويرثُ معتقدات وأفكار عائلته، ثمَّ يرفض أن يكمل مسيرتهم، كي لا يخسر حياته. ولكنني لستُ جباناً. لقد فكرتُ كثيراً، وقررتُ أن أنقلبَ على جماعة الأحرار! علمتُ مسبقاً بأنَّه سيكون هناك عقابٌ لساحرة اسمها بلير، وقد سئمتُ من حضور هذه الأشياء؛ فلماذا يُعدم الساحر؟ أو تتغير شخصيته؟ ألم نُخلق لكي نسلك مساراتنا بأنفسنا؟ نعم... أنا أنقذتكِ لأنني لم أعد أوافق على سياسة جماعة الأحرار! وهناك سببٌ آخر لا أعلم إن كانَ يحق لي أن أذكرهُ أم لا.

نهضت بلير من سريرها، ووقفت أمامه، وقالت له مستغربة:

- وماهو السبب؟

ابتسمَ لها وقال:

- أنتِ، منذ أن رأيتكِ وأنا أشعر بأنَّ عيونك تجذبني إليكِ بطريقة غامضة! تفكيري وأنتِ يا بلير جعلاني أتدخل في هذا الموقف.

لم تستطع بلير أن ترد عليه، لقد صُدمت من هذا الموقف! الذي نادراً ما يحدث في عالم السحرة، بل في العالم الطبيعي أيضاً.

في إحدى القصور الفخمة، وبالتحديد في غرفة الاجتماعات التي تتوسطها طاولة كبيرة تكتسي باللون الأبيض المشع، يجلس رجل عجوز، مرتدياً القلادة المشهورة حول عنقه، إنه السيد ليو رئيس الأحرار. كانَ يتصفح العديد من الأوراق، ذهنه مشغول، وعيونه متعبة: فأن تكونَ مسؤولاً عن عدد هائل من البشر؛ أمرٌ مرهقاً جداً.

يدخل تياغو الغرفة متجاوزاً حراس القصر، يحاولون إمساكه ولكنَّه يفلت في كل مرة. بإشارة من يد السيد ليو، تركهُ الحرس، ودخل والغضب واضحٌ في عيونه:

- في كل مرة يعاملوني بقليل من الاحترام!

نظر إليه السيد ليو، وقال بلا مبالاة:

- بالطبع؛ سوف يمنعون إنساناً فاشلاً يهوى أن يسقط في أعمق الحفرات من الدخول! ماذا تريد يا تياغو؟ فأنا مشغول جداً.

ضرب تياغو بيده بقوة على الطاولة، وقال صارخاً:

- أريد الحرية!

تابعَ السيد ليو قراءة الأوراق التي في يده، وردَّ بلا اكترات:

- لا داعي لكل هذا! سوف آمرُ الحرس أن يدخلوك في أيَّة لحظة تريدها. ولكن أرجوك ارحلْ؛ أمامي العديد من المشاكل التي لا تنتهي بسبب السحرة.

دنا تياغو منه، وقال ببطء شديد:

- أنت... أنت لا تفهم! الحرية التي أطلبها مختلفة عمَّا يدور في ذهنك. أريد التحرر من عالم الأحرار! لا أريد أن أكمل مشواري معكم؛ فسياستكم ظالمة، وتفكيركم مُريع!

أخيرا استطاعَ أن يشدَّ انتباه السيد ليو، الذي ترك الأوراق من يده، ووقف مذهولاً من كلام تياغو! فقال مستغرباً:

- ماذا تقصد؟ تريد الحرية من جماعة الحق؟ جماعة الأحرار؟ وأين ستذهب؟ في صفّ مَن ستقفُ يا تياغو؟

لمعت عيون تياغو، وهو يقول:

- بالتأكيد في صفّ السحرة؛ فأنا أريد أن أصبح أعظم ساحرٍ في هذا الكون، ولن أترك سنوات عمري تضيع هدراً، إلى هنا وكفى يا ليو!

استشاطَ رئيس الأحرار غضباً، رمى أوراقه في وجه تياغو قائلاً:

- هل جننتَ؟ تريد الانضمام إلى السحرة؟ تريد أن تضرب جميع معتقداتنا بالحائط؟ أطلبُ منكَ يا تياغو أن ترجع إلى صوابك، وإلا سوف أعاقبكَ وأعذبك!

ضحك تياغو بصوت عالٍ واستفزازي، قالَ بهدوء:

- لم آتي إلى هنا لطلب موافقتك، بل أنا أحيطك علماً لا أكثر. أنا سوف أرتدُّ عن جماعة الأحرار، وسوف أصبحُ ساحراً.

وصلَ الغضب إلى أقصاه مع السيد ليو، فقال محذراً:

- إنه عالم حرّ! ويعيش السحرة فيه كبشر أحرار. اذهبْ في طريق الهلاك يا تياغو. لكنّي لن أغفر لك هذا.. وإن علمتُ بأنكَ ستنخرط في أمور السحر، أو سمعتُ خبراً بأنكَ مسؤول عن أيّ عمل سحري، فسوف ألقي بكَ في سجن السافليين، وهذا وعدٌ مني!

لم يُعره تياغو أيَّ اهتمام، ابتسمَ لهُ بطريقة غريبة، وقال متحدياً وهو يخرج من المكان:

- لم يُخلق بعد الذي يهددني يا ليو.

خرجَ من المكان دون أن يهتم، وتركَ رئيس الأحرار في حالة غضب كبيرة.

الأجواء هادئة... رومانسية! يملؤها الحب والحنان، يعيشها تياغو مع زوجته بلير، يجلسان في منزل سحريّ، أضواؤهُ بنفسجية وحمراء. مزيَّنٌ برسومات غريبة فيها مثلثات وحروف متفرقة وأرقام مبعثرة على الجدار.

يستلقيان على السرير الذي وضعَ فوقهُ غطاء شفاف، مستسلمين للحظاتهما الراغدة في حياتهما الجديدة. يشعران براحة لا تصدق! وكأنَّ الغطاء الشفاف فيه مناعة من أيّ أمر يمكن أن يفسد حياتهما.

قالت بلير وهي تضع حبة فراولة في فم زوجها، تناولتها من طبق الفواكة الموضوع أمامهما:

- أخيراً، تزوّجنا يا تياغو!

ابتسمَ لها، وقال بحب كبير:

- نعم يا بلير، أخيراً تغيَّر مسار حياتي إلى الاتجاه الذي أتمناه، ولا أستطيع أن أنكر بأنَّ كل هذا حدثَ بمساعدتكِ لي، وكأنَّ لقاءنا مُقدَّرا! وكأنَّ دخولي إلى عالم السحر قضاء محتوم.

أخذتْ هي الأُخرى حبة فراولة، والتهمتْها وهي مبتسمة، فأكملَ تياغو حديثه بشغف:

- لقد أتممتُ العديد من المهمات الشيطانية، ونجحتُ وصرتُ أفرض احترامي على الشيطان الكبير. إنه سعيد بعملي! وقريباً سوف أكون أكبرَ ساحرٍ في العالم كله! وبرفقتكِ أنتِ يا عزيزتي، لن يكون هناك أي مشاكل تواجهنا.

اقتربت منهُ، وقبَّلته قبلات سيطرت على عقله بأكمله، وقالت:

- عليكَ أن تُزيح رئيس الأحرار من طريقنا يا تياغو. تخيَّل لو قتلناه! سيختفي هو وتلك القلادة التي تسبّب تهديداً لعالم السحرة.

- كل شيء سوف يتمّ في وقته الطبيعي، سوف أزيحهُ من عرشه، وسأطلب المساعدة من والدك. سنشكل قوى فتاكة، وسنمحو جماعة الأحرار عن بكرة أبيها؛ فالعالم دون سحر كالحلوى دون سكر.

ابتسمت بلير بدلال، وبدأت تغازلهُ:

- ألا تريد أن تُنجبَ مني طفلاً؟ دعنا نحاول الليلة ونغيب عن هذا الكون. اقتربْ مني، فجسدي هو ملكك، وروحكَ ستكون ملعونة لو شاركتَ غيري السعادة.

ابتسمَ لها واقتربَ منها، ولكنَّ باب الغرفة أصدرَ ضجيجاً قوياً. دون مقدمات، كسرهُ مجموعة من الناس، ودخلوا المكان برفقة رئيس الأحرار السيد ليو. طارت الساحرة بلير بلمح البصر من الشباك. حاول تياغو أن يلحق بها، ولكنَّ القلادة التي وُضعت أمام وجهه جعلته ينشلُّ في مكانه! كانت علامات الخيبة والحزن واضحة على وجه رئيس الأحرار، وهو ممسكٌ بقلادته يلوّح بها أمام وجه تياغو، الذي سرعان ما أغميَ عليه من قوة تأثيرها!

أمسكَ به رجال حزب الأحرار، وانتظروا إشارة من رئيسهم، الذي حتى اللحظة لا يصدق عينيهِ وهو ينظر إلى تياغو! فقال وقد أغمضَ عينيه:

- اذهبوا به إلى سجن السافليين.

يومُنا الحالي

وضعَ إبليس ريشة القلم في الحبر الأسود، وأكملَ تدوين القصة المثيرة! تغلغلت أشعة الشمس في غرفته الغريبة، كتبَ حروفه المخلدة دون تعب أو إرهاق، بل إنَّه مع كل كلمة يدوّنها، كانَ يبتسم بطريقة مريبة:

- ارتبطَ مسمَّى السافليين بالسحرة منذ قرون طويلة. في الحقيقية لا أعلم من هو أول شخص أطلقهُ عليهم، أظنُّ أنَّهُ من جماعة الأحرار. إذن دعوني أكمل قصتي التي حتى الآن لم تصل إلى نهايتها.

هربت الساحرة بلير من المواجهة الأُولى مع رئيس الأحرار، وتركت زوجها التي تعشقهُ ويحبّها، ولكن شعرت بأنَّ حياتها مهددة بالخطر! وربما شعرت أيضاً بأنَّ تياغو سوف يكون على ما يرام، حتى لو أطاحوا به. وهنا يكمن السر! لماذا هيَ متأكدة بأنَّه سوف يخرج من هذه المحنة؟ ولماذا رئيس الأحرار أصابتهُ الخيبة من تحول تياغو المفاجىء؟ ببساطة لأنهما أخوة! نعم، رئيس الأحرار السيد ليو يكون الأخ الأكبر لتياغو! وهما المعلقان الآن في غابة السافليين. وتياغو هو نفس الشخص الذي كان يوبّخه رئيس الأحرار، ويلقي عليه التهم في وضعهم الصعب، بسبب هيمنة السحر على عالمهم.

منذ سنوات ورئيس الأحرار يضع أخاه إلى جانبه، يعلمه قوانين جماعة الأحرار المتوارثة من قبل عائلتهم. ولكنه أيضاً كان يشعر بأنَّ أخاه الصغير عقله مشوّش. إلى أن جاء ذلك اليوم وارتدَّ عن جماعتهم، ووضعَ أخاهُ الكبير في موقف محرج! كيف سيواجه الناس؟ ماذا سيقول لأعضاء حزبه؟ أخوه الذي من دمه ولحمه يريد أن يكون ساحراً؟ إنَّه عار يصل إلى قطع الرؤوس، وربما تحدث بركة من الدم من وراء هذا الموقف. لغة العواطف ليسَ مرحَّباً بها في هذا العالم، إمَّا أن يتخذ رئيس الأحرار موقفاً حازماً من أخيه، أو يطأطئ رأسه لمن يناصرونه، وهذا ما تمَّ بالفعل! لقد قرَّر حبسَ أخيه الصغير في سجن السافليين، وهذا ما يُرجعنا إلى المسمّى الأزلي. فكل شيء يدور حول السحرة يُكتب أمامه كلمة: السافليين! لأنَّهم كذلك في عيون الناس وجماعة الأحرار. هذا السجن مخيف جداً لأيّ ساحر في الكون، كبير الحجم، مظلم وموحش. لا تصلهُ أشعة الشمس أبداً، يُعذَّب فيه الساحر لفترات طويلة، وربما لا يخرج منه أبداً، كل هذا يرجع إلى حكم رئيس الأحرار على السحرة. ولكن إن كان يملك القلادة السحرية، ويستطيع أن يغير أحوالهم ويجعلهم صالحين، فلماذا هذا السجن موجود؟ ببساطة؛ لتخويف الجميع من هذا العالم! فمَن سيسمع أو يرى طريقة العنف الذي يتلقاها الساحر في الداخل، ربما يفكر مليون مرة قبل أن يصبح ساحراً.

كلُّ ما خطَّتهُ يداي قبل قليل، كانت مشاهد قديمة وحقيقية، يُريها الساحر العجوز دانييل لتياغو في غرفة نومه، بعدما عاش كوابيس الأحلام المرتبطة بالساحرة بلير، ولكن ماذا حدث بعد ذلك؟

تمهّل سيدي القارىء فكلمات إبليس الكبير لا تقدَّر بثمن.

نهضتُ من سريري ممسكاً رأسي! يكاد ينفجر من الضغط الذي أشعر به، لقد رأيتُ كل الأحداث المنسية من حياتي! أنظرُ إلى العجوز الساحر الواقف أمامي، وأفكر بيني وبين نفسي: ما العمل يا تياغو؟ كيف حدث كل هذا؟ أحداث مهولة وغريبة وعجيبة! منذ ارتدادي عن جماعة الأحرار وعن أخي الأكبر، وحبي الكبير لبلير، كنتُ أعلم أنني أعرفها، قلبي لم يكذب، إلى أن وصلنا إلى سبب سجني. أخيراً عرفت سبب سجني، لكن حُبست لأنني تعاملتُ مع الشيطان ووضعتُ يدي بين السحرة وأصبحت ساحراً! ولكني إلى الآن لم أفهم؟ فسألتُ العجوز باستغراب:

- هل جميع ما رأيتهُ كان واقعاً في حياتي؟ ولكن كيف حدث كل هذا؟ لا أعتقد بأنَّ الصدفة جاءت بي إلى مكانك! ما الذي تخفيه عني؟

ضحكَ الساحر بطريقة استفزازية، إلى درجةٍ تمنيتُ فيها أن أقتلع رأسه:

- لقد استهدفتكَ يا تياغو؛ فأنتَ شخص يأتي مرة واحدة كل عشر سنوات! أنتَ الأخ الوحيد لرئيس الأحرار، والزمن ابتسمَ لنا نحن معشر السحرة عندما انقلبت الموازين، وقررتَ أن تنجرف نحو عالمنا السحري. لا أقول لك هذا لأنني أقلّل من شأن السحرة، ولا يمكنني أن أضحّي بجماعتي الوفيّة. ولكن في بعض المرات لابد علينا من التضحية، وأنتَ من كُتب عليكَ هذا!

في كل مرة يتكلم فيها، يضعني في دوامة جديدة ومختلفة. فقلتُ له مصدوماً:

- ولكنني حتى الآن لم أفهم!

نفخَ من فمه؛ فخرج دخانٌ أزرق اللون، وقال مبتسماً:

- كنتُ أراقبكَ منذ اللحظة التي ساعدتَ فيها الساحرة بلير على الهروب من الإعدام. لقد ذُهلنا من هواجسك وتفكيرك بالارتداد عن الأحرار والانضمام إلينا! شعرتُ بأنَّ الورقة الرابحة الغائبة عن حياة السحرة منذ قرون، سوف أتحصَّل عليها أخيراً! عندما كنتَ تسير وحيداً في الشارع المظلم، كنتُ أتحكَّم بك ذهنياً. فأنتَ دخلتَ السجن ساحراً، وخرجتَ منه ساحراً، فالتحكم بك سهلٌ جداً. وجعلتُ خطواتك تقودكَ إلى مكاني، والخطة التي رسمتُها كانت سهلة جداً، وساعدني عنصر واحد: شخصيتي المجهولة! فأنتَ لم تلتقِ بي من قبل. كانت المعارك القديمة تجمعني مع أخيكَ وجماعته. وبكلمات بسيطة قلتُها لك، جنيتُ ثماري بعدَ عداء طويل مع جماعتكم! كنتُ أتعامل مع شخص بائس، خرجَ من سجن السافليين وهو محطم، لا

يعلم إن كان يستطيع أن يرجع إلى حضن أخيه الكبير، أو يكمل مشواره في عالم السحرة! جعلتكَ تظنّ بأنني أستطيع أن أطهّر روحك. ولن أكذب عليك، فهذا العمل لا يستطيع أحد فعله إلا أخوكَ الكبير، والسبب هو امتلاكه لتلك القلادة. جعلتكَ توقع معي العقد الدموي، وقرأتُ عليك تعويذة قوية جداً، دمجتُ لكَ جميع جرائمك! والأشخاص الذين ضحَّيت بهم في مشوارك السحري. وضعتُ القليلِ من اللمسات المتقنة، جعلتك تعيش كالمجنون، وأخيراً حان الوقت لكي نكمل اتفاقَنا.

شعرتُ بأنَّ أرجلي لا تستطيع أن تحملني بعد كل ما عرفته! كنتُ ضعيفاً، والآن أصبحت مكسوراً. جميع ما قالهُ ينطبق على عبارة: (انقلبَ السحر على الساحر). هل بالفعل انقلبَ عليَّ؟ وعدوّي كان من نفس عالمي... ساحر!

- جميع ما قلتَهُ لم أتوقعه إطلاقاً! ولكن يبقى السؤال الأهم: لماذا يا دانيي..

- لالا، لقد وصلنا إلى مرحلة كشف جميع الأوراق. فأنا السيد فالفو، رئيس مجلس السحرة والحاكم الفعلي على عالمنا! سوف أجيبكَ على سؤالك يا تياغو، لماذا؟ لأنني أريد منكَ شيئاً واحداً، آخر خطوة سوف تفعلها من أجلي، والمقابل سوف يكون كبيراً.

سألته بذهولٍ كبير: وما هو المقابل؟

رأيتُ الشر يتطاير من عيونه، وهو يقول:

- حريتك يا تياغو! فأنتَ لن تستطيع أن تخرج من هذه الكوابيس إلا بعد أن تُفك تعويذة العقد الدموي. ولديَّ شيء آخر! تريده من أعماق قلبك، ولكني أريد أن أوضح لك معلومة بسيطة: جميع كوابيسك التي عشتَها كانت لأشخاص قد ذبحوا على يدك! فأنتَ كنتَ تتعامل مع أشباحهم، ولكن هناك شخصٌ بينهم كان حقيقياً.

كنتُ خائفاً أن يقول اسمها! صرختُ في سرّي: إلا هي! فقلتُ بصعوبة:

- أنت... أنت تقصد... بلير؟

ضحكَ، وانتشرت أصداء ضحكاته بشكل مدوٍ في المكان! وقال:

- نعم...نعم! اظهري يا بلير!

خرجت من خلفه بطريقه سحرية! وكأنَّها كانت تختبىء وراءه طوال هذه الفترة. كانت يداها مقيّدتين بالحديد المشتعل، تبكي بحرقة وهي تنظر إليَّ بعيون مكسورة! تكلمتْ بنبرة حزينة ينفطر لها القلب:

- أنا آسفة يا تياغو! فمنذ أن علمَ السيد فالفو بمساعدتكَ لي، طلبَ أن أمثل عليك دور العاشقة، وأن أجرفكَ نحو عالمنا بطريقة سريعة، وهذا سبب هروبي عندما هجمَ علينا أخوك برفقة جماعة الأحرار.

كنتُ أنظر إلى عينيها، وأسمع كلماتها، ولا أريد أن أصدق أيَّة كلمة! فقلتُ متأثراً:

- إذن حبّنا كذبة! وزواجنا خدعة! هل ما تملكينه قلبٌ يا بلير؟ أم جلمود صخر؟

صرخت بأعلى صوتها قائلة:

- في البداية عشتُ معك هذا التمثيل المتقن، ولكنني أحببتكَ يا تياغو، أقسم بكل ما أملكه بأنني أحببتكَ، وإلى الآن أحبك! وكسرني هذا الزمن عندما سُجنتَ، لم أستطع أن أكمل حياتي، وعندما ظهرتُ لك في كوابيسك المرتبة من قبل السيد فالفو، كنتُ أتقطع ألماً وأنت لا تتذكرني، ولكني أعلم بأنكَ تحت تأثير تعويذة. وسُلبتْ روحي مني عندما أجبرتُ على خداعكَ في هذه الكوابيس! كانت دواعيها تعذيبية، وكانت تهدف إلى تحطيمك، إلى أن يحين هذا الوقت... وحان! كل هذا تمَّ تبديره من قبل السيد فالفو.

قالت ذلك، ونظرت إليه بطريقة مشمئزة! لا أعلمُ لماذا؟ ولكنني أصدقها، أصدق أنها تحبني كما أحبّها، ولكننا أطراف في لعبة قذرة من هذا الساحر.

صفَّق السيد فالفو بطريقة ساخرة، وقال مبتسماً:

- إذن ماهو قرارك يا تياغو؟ هل ستساعدني؟

صرخت بلير وهي تبكي قائلة:

- لا تساعدهُ يا تياغو، أرجوك، دعني أموت بسلام.

نهرَها العجوز بطريقة مفزعة: "اصمتي" .

حلقتْ بلير وطارت من الشباك ملتاعة! جريتُ نحوَ الشبَّاك محاولاً أن أنتقم لها. ولكنه بإشارة منهُ جعلني ألتصقُ على الجدار، مسبباً لي آلاماً كبيرة! أقترب مني وقال:

- وافقْ على شروطي، وسوف أسلّمك عقدكَ، وأدعكَ حراً طليقاً، وسوف تكون لك مكانة في عالم السحرة، وستعيش مع بلير حياة سعيدة وراغدة.

قلتُ له وأنا أحاول أن ألتقط أنفاسي: لأنَّ هناك أمراً يحيّرني كثيراً:

- لقد فهمتُ كل ما يجري لي، ولكنّي لم أجد تفسيراً للشخص ذي الرداء الأسود الذي يظهر لي في كل مكان!

نظر إليه فالفو باستغراب، وقال:

- عمَّ تتحدث؟ لا يوجد شخص بهذا الوصف في تعويذتي التي ألقيتُها عليك!

زادَ الغموض في الموقف، أقنعتُ نفسي بأنني أتخيَّل تلك الشخصية الغامضة، فقلتُ له مستسلماً:

- ماهو شرطكَ؟

أمسكَ رأسي بيده، واتّسعتْ عيونه شراً وغضباً:

- أريدُ أن أرى رئيس الأحرار ينزف!

دخلتُ إلى قصر أخي رئيس الأحرار وأنا مقيد بالسلاسل! كالمجرم الهارب من العدالة، دخلتُ إلى غرفة الاجتماعات الخاصة به، ووقفتُ أمامه ممثلاً الذل والمهانة. نظرَ إليَّ بغضب وبقليل من العطف الواضح! أمرهم أن يفكوا قيودي، شعرتُ ببعض الألم عندما فعلوا. غادروا المكان، فقال لي بجفاء واضح:

- ماذا تريد يا أخي؟

تقدمتُ منه وسقطتُ تحت أقدامه، أقبّلها بكل خضوع، وأقول له:

- أريدكَ أن تسامحني على كل مافعلتهُ بك، لقد أخطأتُ يا أخي في انتقالي إلى عالم السحرة، إنَّه أسوأ قرار لي منذ مجيئي إلى هذه الدنيا، أريد المغفرة منك، أتمنى أن تعيدني إلى عائلة الأحرار، وأن أحارب معكم من جديد، وأنا اليوم خاضعٌ تحت أرجلكَ، وأرجو تفتح معي صفحة جديدة.

جعلني أنهض من جديد، ولم تختفِ علامات الغضب البسيطة، فقالَ معاتباً:

- ما فعلتهُ ليس بالأمر السهل! قررتَ أن تضعَ رأسي في التراب، وتحرجَني أمام الناس كلهم. عندما سَجنتك، كنتُ لا أعرف ماذا أقول لمن حولي؟ أخي الذي من لحمي ودمي قد تحوَّل من جماعة الأحرار إلى جماعة السحرة؟ هذا الخطأ آلمني كثيراً يا تياغو! فأنا لا أملك أحداً غيرك، أنت أخي! أخي الذي طعنني بسكين الغدر! وجرحُه مازال مفتوحاً في جسدي.

بدأتُ أبكي كالطفل، أحاول أن أجعلهُ يسامحني:

- أعلمُ بأنَّ قلبك كبير جداً، ولن تتخلى عني. وأعتبرُ ما حدثَ لي درساً لن أنساه طالما حييت، أرجوك دعني أضع يدي في يدكَ مرة أُخرى، حتى لو كان الموضوع سيتم بشروطك الخاصة، أنا لا أريد الآن سوى غفرانك، إن أردتَني أن أرمي بنفسي من أعلى الجبل؛ فسأفعل.

لمستُ ملامح التعاطف على وجهه، سكتَ لثوانٍ، ثمَّ قال بنوع من العطف:

- لا أستطيع أن أنكر بأنني أحبكَ يا أخي، ولو غضبتُ عليك لأيام، فسرعان ما ستختفي هذه المشاعر! وأنتَ أمانة في رقبتي، ولن أتخلى عنكَ طالما رأيتُ فيك أملاً، وهذا ما أراهُ الآن.

ارتسمت ملامح الفرح على وجهي، فقلتُ له:

- أعدكَ يا أخي بأنني...

دخلَ فجأة أحد مستشاري أخي في حزب الأحرار، وعلامات الخوف والارتباك واضحة في عيونه، قال بتوتر:

- سيدي ليو، أريد أن أحدثك على انفراد...الموضوع في غاية الخطورة!

ابتسمَ لي أخي، وكأنَّه يرسل لي إشارات الغفران التي أطلبها منه، فخرجَ من الغرفة مع مستشاره، وجلست أتأمَّل المكان الذي حُرمتُ منه لفترة طويلة.

- تياغو!

رفعتُ رأسي مستغرباً! فرأيتُ ذاك الرجل الغامض الذي يخرج لي باستمرار! كانَ يقفُ في زاوية المكان، نهضتُ مفزوعاً! اقتربَ مني بضع خطوات إلى أن صار أمامي، خلعَ الرداء الأسود الذي يرتديه، بانتْ ملامح وجهه، لأول مرة أراه على حقيقته، وهذه الحقيقة هي السبب في إحساسي بأنَّ عيوني سوف تخرج من مكانها، لقد كنتُ مصدوماً!

تبعثرت الحروف من لساني، وقلتُ غير مصدّقٍ:

- ولكن... كيف؟ ومن أنت!

رمقني بنظرة جادة، وقال لي بصرامة:

- أنا أنت! وأنت يا تياغو أنا!

كنتُ أرى نفسي وكأنني أمام مرآة! هل هي طقوس من سحر غريب؟ كيف يشبهني إلى هذه الدرجة؟ الجسد والطول والشعر والعيون، لقد شَلَّ كل حواسي بظهوره المفاجىء!

- أنا لم أفهم! هل تقصد بأننا نفس الشخص؟

هز رأسه لي إيجاباً، وقال:

- أريدكَ أن تغير جميع مخططاتك لهذه الليلة، أنا أعلم بالشيء الذي ستقوم به، وأعلم ما الذي فعلهُ بك الساحر دانييل، فأنا عشتُ نفس تجربتك في الماضي، والاتفاق الذي ستنفّذه معهُ آمركَ أن تغيره حالاً. أعلمُ بأنكَ مشتتَ الذهن حالياً،

ولكني سوف أريكَ شيئاً، سيغير خطتكَ بأكملها.

أمسكَ طرف رأسي بإصبعيه، وأغمضَ عيونه، فرأيتُ غابة السافليين! عدد كبير من البشر معلّقون بطريقة تعذيبية، أرى نفسي وأخي إلى جانبي! يا إلهي، ماذا يحدث؟ الساحر دانييل يمشي بحصانه وعلامات النصر واضحة على وجهه!

انتهت الرؤية السحرية، فقالَ لي:

- هذا ما سيحدث عندما توافق على خطتكَ مع الساحر، لا تستهنْ بوجودي هنا وفي نفس الوقت، فأنا كنتُ أرافقكَ في جميع مراحل التطهير التي خدعكَ بها الساحر. وكنتُ أرسل لك رسالات تحذيرية، ولكنني لم أستطع أن أتدخل إلّا في اللحظة المناسبة، وهذه هي اللحظة المنشودة! تياغو! أنقذْ نفسكَ؛ فقراركَ سوف يغيّر الحاضر والمستقبل! أنتَ الآن في الماضي، في منطقة كونية بعيدة جداً!

- ماذا تريدني أن أفعل؟

اقتربَ مني وهمسَ لي بخطته، ومع كل كلمة يقولها، كانت عيوني تتسعان دهشة! وعندما انتهى، قال لي بصوت مسموع:

- لا أصدق بأنني أتمنى الحظ لنفسي! ولكن بالتوفيق يا تياغو، الأمل الأخير معقود عليك.

و اختفى بكل بساطة! لم أضيّع أي وقت، تسللتُ خلسة إلى الغرفة الأُخرى، وسمعتُ حوار أخي مع مستشاره، إنه ينبّه من هجوم محتمل من قبل الساحر فالفو.. أسمعُ أخي يقول بأنَّه سوف ينقلُ سرّاً ما مع الحمام الزاجل! طلبَ من مستشاره أن يلقي عليه تعويذة بإحداثيات معينة. لقد سمعتُ عنوان مكان الإحداثيات بوضوح. غادرَ أخي المكان، وفتح المستشار الشباك، وبهمسات منه هبط الحمام الزاجل عليها، أعطاهُ السر في ورقة ترابية اللون وقديمة، وأمسكَ رأسه وهمس له بالإحداثيات! وخرجَ من المكان.

رجعتُ من جديد إلى غرفة أخي الأُولى، ومن حسن حظي بأنَّه لم يكن موجوداً فيها. تصرَّفت وكأنني على طبيعتي، فدخل وهو في حالة غضب، سألته باهتمام عن السبب، فردَّ عليَّ غاضباً:

- هذا الساحر فالفو لا يريد أن يستسلم! لقد أرسلَ تهديداً بأنه سوف يهجم في أية لحظة، ولو فعلها سأحرصُ بأن تكون نهايته على يدي.

قالها وأمسك القلادة المشعة التي تتدلّى على صدره، فقلتُ له:

- سوف نحاربهُ يا أخي! لن أجعله يمسُّ منكَ شعرة.

ابتسمَ لي، وكانَ يحاول أن يقول شيئاً، ولكنه سكتَ واتّسعت عيونه دهشة عندما سمعنا أصواتاً غريبة تأتي من الخارج، فعلمنا بأنَّ هجوم الساحر قد بدأ! فتَّشتُ في المكان؛ فرأيتُ السيف المتوارث في عائلتنا، طويلاً جداً، مشعاً بطريقة غريبة، ومرسومٌ عليه كلمات متفرقة، لو جمعناها ستكوّن كلمة " الأحرار" .

أمسكته بيدي، وكنتُ في وضعية الهجوم، قال لي أخي مطمئناً:

- لا تخف يا تياغو، فلن يستطيع أن يتغلب علينا ولو ملكَ جيشاً من السحرة، القلادة التي أضعُها حول عنقي ستدمّره!

خُلعَ باب الغرفة التي نحنُ فيها بعنف مدوٍّ، ودخلَ الساحر فالفو يابتسامة خبيثة على وجهه، لقد كان وحيداً، قال له أخي مستهزئاً:

- أرسلتَ تهديداتكَ يا فالفو، وهجمتَ على المكان وحيداً؟ هل تريد الموت بسهولة يا قذر؟

لم تختفِ ابتسامته وهو يقول:

- أنا هنا من أجل الاتفاق، وليس للحرب.

نظرَ إليَّ وقال: " كيف حالكَ يا تياغو " .

وضعني أخي خلفَ ظهره، وقال له بغضب شديد:

- لا تتحدث مع أخي وإلا قتلتكَ، فهو قد رجعَ إلى صوابه، ولن تراه أبداً في صف السحرة.

ضحك الساحر بصوت عالٍ، وقال هازئاً:

- هل هذا صحيح يا تياغو؟ ألا تريد أن تكون ساحراً بعد اليوم؟

ازدادَ غضب أخي، وقال مزمجراً:

- قلتُ لكَ لا تتكلم مع أخي! وإلا سوف...

فجأة نظرتُ إلى أخي؛ فرأيتُ الدماء تسيل من جسده بغزارة! ابتسمَ الساحرا لوهلةٍ، شعرتُ بأنَّ السماء ستبكي ممَّا يحدث أمامي! التفتَ إليَّ وهو يبكي، نعم لقد طعنتهُ بسيفي! أريدهُ أن يموت! سقط على الأرض، وهو يحاول أن يمسك بي! فسحبتُ السيف من جسده وطعنته طعنة أُخرى، إلى أن سقط أخيراً ومات! أخذتُ القلادة المعلّقة على صدره، ووضعتُها بيد الساحر، وقلتُ له ببرود تام:

- لقد أتممتُ اتفاقنا، والقلادة والقوة لن يفارقاك أبداً. عليك أن تفي بعهدك، وأن تُرجع لي زوجتي بلير، وأن تجعلني أعظم ساحرٍ في الكون.

أخذ القلادة من يدي، عيونهُ كان تشع بطريقة مريبة! لم يصدق بأنَّهُ يلمسها، لقد أخذ مطلبه بعد تفكير وعناء طويلين، وبمساعدة كبيرة مني! فهو لن يستطيع أن يطعن أخي طالما هوَ يهددهُ بالقلادة، ولكنَّ الغدر لن يكون مكشوفاً لو جاء من أقرب الناس إليك، أو من شخص لم تتوقع أن يفعلها أبداً.

وضعَ القلادة على صدره، وأغمضَ عيونه، وابتسمَ وكأنَّه يشعر بقوَّتها، فقال لي:

- أنا رجل أفي بوعودي، أمهلني قليلاً من الوقت، وسألبّي لكَ طلبك!

يومُنا الحالي

يضعُ إبليس ريشتهُ على الورقة، وينهض من مكانه وعلامات القلق والتفكير واضحة في عيونه. يُرنُّ جرس شقته، فيذهب إلى الباب ويفتحه، ويرى فتاة في عقدها الثاني، جميلة جداً، شعرها ذهبي وطويل. قالت مبتسمة كاشفة عن أسنانها البيضاء واللامعة:

- المعذرة... ولكني أبحث عن جون، هل هو موجود؟

تجمدت ملامح إبليس! وكأنَّ الدم لم يعد يسري في شرايينه، نظرت إليه الفتاة باستغراب وقالت:

- أنا آسفة، أعتقد بأنني في المكان الخاطىء، ولكن هل أنت بخير؟

- نعم...نعم! أنا آسف ولكن جون الذي تبحثين عنه لا يقطن هنا، أنا أعيش وحيدًا.

ابتسمت من جديد له، وقالت بلباقة:

- أعتذر منك، فهو صديق قديم، وأنا أحاول أن أبحث عنه!

- إن سمحتِ لي، أنا أستطيع أن أساعدكِ في هذا الموضوع، فاتّصالاتي قوية جداً، ومن السهل أن أجد مكانَ صديقكِ جون. أنا آسف! كيف لي أن أتحدث معكِ دون أن أدعوكِ إلى الدخول. هل تسمحين لي أن أقدّم لكِ القهوة؟ وهكذا تحدثينني عن صديقك؟

بانَ التردد على وجه الفتاة، ولكنَّها قالت:

- هذا لطف منك، سوف أقبل دعوتك.

دخلا إلى الشقة، فجلست على كرسي جلدي أسود، بدأ إبليس في تحضير القهوة، وقالَ مستفسراً:

- عذراً... لم أتشرف باسمكِ الكريم.

- أنا جولييت.

- تشرفتُ بكِ يا عزيزي.

بدأت تنظر إلى المكان، فسقطت عيونها على مخطوطات إبليس،

فقالت مستغربة:

- هل أنت كاتب؟

ضحكَ بصوت عالٍ، ومن ثمَّ قال:

- لالا! أنا لا أهوى الكتابة أبداً، ولكنّها قصة طويلة، وأردتُ أن أدوّنها لكي تظهر الحقيقة للناس أجمعين.

نهضت من مكانها، وجلست على المكتب، ووضعت أصابع يدها ببطء على الأوراق، وقالت:

- هل تسمح لي أن أقرا؟

ظهرت ملامح القلق والحيرة على وجه إبليس، فقال لها:

- حسناً، ولكني غير مسؤول عن أيّ خوف أو ارتباك سوف يعتري مشاعرك من قراءة المخطوط.

لم تهتمَّ لتحذيره الغريب، وبدأت بالقراءة، وسرعان ما اندمجت! فوضع كوب القهوة بجانبها، وجلس يتأمل وجهها الملائكي وهي تقرأ!

بعد ساعة ونصف من القراءة، وشرب عشرة أكواب من القهوة، قدَّمها لها إبليس، وقفت في مكانها مصدومة، وقالت غير مصدقة:

- هل هذه الكلمات من قصة خيالية؟

رمقَها إبليس بنظرة جامدة، وقال:

- انظري إلى وجهي، هل يبدو لكِ أنَّها قصة غير حقيقية!

أمسكت به من كتفه، وجعلتهُ يجلس على الكرسي، وقالت بصيغة أمر:

- إن كنتَ تريد أن تساعدني في إيجاد صديقي جون فأنا موافقة، ولكن أيضاً ساعدني في تخطّي هذه الصدمة! اكتبْ يا إبليس! هل هذا الموجود في المخطوطة هو اسمكَ الحقيقي؟ أم أنَّه اسم مستعار؟

- إنَّه اسمي يا جولييت، وأنا موافق، سوف أكمل قصتي بوجودكِ معي. أمسك بريشته، وبدأ يكتب من جديد:

- النهاية اقتربت، وملامح قصتي بدأت تبدو واضحة ومنطقية أكثر من أي وقت مضى. ولكن هناك السؤال الكبير والأهم: كيف لي أن أبدأ القصة بشكل تسلسلي، بداية في وجود تياغو وأخيه الأكبر معلّقين في الغابة، وتسيُّد السحرة لهذا العالم؟ وبنفس الوقت هما يتصارعان والعالم يبدو بأنَّه ليس ملكاً للسحرة! إنَّهُ ليس لغزٌ، بل حكاية لم أكملها في بداية مخطوطاتي، عندما كان رئيس الأحرار السيد ليو يلوم أخاه تياغو وهما معلقان في الغابة، ويلقي عليه بكلماته، ولكنه قال بأنه يملك حلاً! ترى ماذا حدث في بقية حوارهما؟

- أنتَ من وضعتنا في هذا المأزق يا فتى، بغلطتك الشنيعة سلبتَ منَّا أعز ما نملك، ورجَّحت كفة السحرة على كفة الأحرار! لقد كلفتنا الكثير!

فتح فمه الرجل، وقال منهكاً:

" يُخلق كل ابنِ آدم من الطين

وحياتهم تكون مقسومة بالقسوة والحنين

يُصفع في دِوامات الصعاب، ويتعلم

و ليتَ الدنيا بعدَ تعلّمِهِ تتزيَّن!"

قال هذه الجمل بحسرةٍ، ومن ثم أكملَ:

- ليتني أستطيع تصحيح ما فعلتهُ! ليتني أحظى بفرصة جديدة تعوّض الماضي، لأجل مستقبل كله غيوم ممطرة، تزهر بها الورود الحمراء والخضراء.

لم يعلق ليو على ما قاله، ولكنَّ الرجل أصرَّ عليه وقال:

- أرجوك لا تُبادرني بالجفاء، وأحِطني بالوفاء، أحيِني بكلماتكَ المطمئنة، وأنقذني من حبال الهلاك!

أغمضَ ليو عيونه، وتنفَّس بعمق، ومن ثم قال:

- صحيح أنَّنا خلقنا لكي نخطئ ونتعلم، ولكن في بعض المرات، تكون هذه الأخطاء كارثية، كغلطتك يابنَ آدم!

دخل الرجل في حالة يأس أكبر من حالته الطبيعية، ولكن عادَ إليه بصيص من الأمل، عندما سمع ليو يقول عبارته التالية:

- ولكن ربما بعض الأخطاء من الممكن تصحيحها، لا تقلق، أظنُّ بأنَّ لديَّ فكرة، وأدعو الله من كل قلبي أن تنجح! اسمعني جيداً!

- ماذا يدور في ذهنك يا أخي؟

- الساحر فالفو يريد السر الآخر الذي أملكهُ، وهذا السر تمَّ تناقله من قبل أجيال

عائلة الأحرار! أنتَ نفسك لا تعرفه! ولكن لربما اليوم هو اليوم المنشود لكي أستفيد منه فعلياً. السر هو: الولوج إلى العالم الموازي!

نظر إليه تياغو باستغراب، وقال مستفسراً:

- العالم الموازي؟ وما هو هذا العالم؟

- إنه عالم موجود في الكون، جميعنا لدينا نسختان طبق الأصل عن أنفسنا، النسختان تعيشان في سلام في مكانين مختلفين!على سبيل المثال، هناك نسخة منك أنت يا تياغو! تعيش بعيداً جداً عن كوكب الأرض، في عالم يُطلق عليه بالموازي. وسمِّي بهذا الاسم؛ لأنَّه يوازي شخصياتنا بأحداثها ونجاحاتها وفشلها، فكل شخصية تؤثر على الأُخرى بشكل أو بآخر! مصيرهم واحد، وهذا العالم يختلف عن توقيتنا الطبيعي بيومين فقط! أي أنَّ ما يحدث لكَ في هذا العالم، يصل إلى نسختكَ الموازية في عالمها الآخر بعد يومين. الحكاية تبدو وكأنَّها فرق التوقيت العالمي، دولة تصلها الشمس قبل الأُخرى، وترى القمر أيضاً في وقت مُغاير.

استمرَّ ذهول تياغو من حديث أخيه، فقال مصدوماً:

- ولكن ماشأن هذا العالم بمصيبتنا الحالية؟

ابتسمَ رئيس الأحرار رغم شعوره بالدوار والوجع، وقال:

- أفقْ يا تياغو وركّز في كلامي، هذا السر آكتشفَ من قبل الأحرار، عندما كانوا يحاربون في إحدى الصحارى القديمة، منذ سنوات طويلة ذهبتْ وولَّتْ، وجدوا مخطوطة قديمة عنوانها: سر العالم الموازي، وسرُّها يكمن في قوى تدخل جسم الإنسان عند قراءة المخطوطة بشكل سليم، وهذا السر من الممكن أن ينقلهُ الإنسان الذي يملكهُ إلى شخص آخر لبعض الوقت، ولا يفارقه إلا عندما يفقد المخطوطة، أو يموت! أستطيع أن أنقلَ إليكَ هذا السر عبر جسدي إلى روحك! وتنتقل أنتَ إلى العالم الموازي، وتصحح غلطتكَ الشنيعة.

أخذ رئيس الأحرار نفَساً طويلاً، ومن ثمَّ أكمل كلامه:

- عندما نجحَ الساحر فالفو في السيطرة علينا، ووضع يده على العالم وحوَّله إلى عالم خاص بالسحرة، كانَ هذا الشيء بسبب فعلتكَ المشهورة! أنتَ من ساعدته يا تياغو. عندما اشتدّت بنا الرياح وألقيتكَ في السجن بسبب غرامكَ بعالم السحرة، وعلمتُ بالحقيقة الكاملة عندما عُلقنا في هذه الغابة، أنتَ ذهبتَ إليه وألقى عليك تعويذة، جعلتكَ تعيش واقعاً مريراً، من بداية انجذابكَ لعالمهم، إلى أن خدعتكَ

الساحرة بلير، وإلى أن غدرتَ أنتَ بي، وجعلتَ رئيس السحرة يأخذ قلادتي السحرية! سوفَ أرسلك إلى العالم الموازي، وستشاهد نسختك وهي تتعذب من قبل العقد الدموي الذي أبرمتهُ مع الساحر فالفو! ولكن هناك شرط عليك أن تضعهُ في حسبانكَ: تستطيع أن تظهر لشخصك الآخر متخفياً، ترسل إليه رسائل مبطنة، ولكنكَ لن تستطيع أن تواجههُ وتحدثه وجهاً لوجه إلا في موقف واحد! ولا يتعدى عشر دقائق! وعندما تقرر أيّ موقف تريده؛ سوف تقف الدنيا في العالم الموازي، والشلل سيصيب كل من على الأرض، إلا الشخص الذي تريده! أريدك أن تكون معهُ، وترى ماذا جرى لكَ من قبل السحرة، وتتعلم يا أخي! وعندما يحين الوقت الذي ستغدر خلاله بي في العالم الموازي، أريدكَ أن تظهر لشخصكَ الآخر، وتُريه وضعنا الحالي في الغابة، وتجعله يغيّر خطته التي رُسمت من قبلكَ في هذا العالم.

- ولكن حتى لو فعلتُ كل هذا، ما الذي سوف نجنيه؟ فما حدث قد حدث!

- يا لغبائكَ يا أخي! سر العالم الموازي قد خُلق لتصحيح الحاضر والمستقبل عن طريق الماضي. فأنت عندما تجعل شخصكَ الآخر يصحح الأحداث في عالمه الموازي، سرعانَ ما يتغير كل شيء في عالمنا، فالصلة بين العالمين قوية جداً! وهنا تستطيع أن تصحح جميع أخطائكَ، وسأغفر لك خطاياك، وسنفتح صفحة جديدة تحملُ نصراً لعالمنا، وسنتخلّص من السحرة إلى الأبد. كل ما عليكَ أن تفعله هو إيضاح الصورة لشخصكَ الآخر، وأن تمنعهُ أن يخدع شخصيتي الأخرى في العالم الموازي، فأنتَ جرحتني، والدماء هي نقطة الضعف الوحيدة التي جعلت قلادتي السحرية تسقط مني، وتذهب إلى الساحر!

بدأ تياغو يبكي، ومن ثم قال متأثراً:

- هل تثق بي يا أخي؟

- نعم أثق بك! جميعنا نخطىء، وفي نفس الوقت نمتلك الوقت الكافي لتصحيح ما فعلناه، فالخطأ ليس عيباً، ولكن يكون حماقة إذا تابعناه ولم نصححهُ.

في نفس غابة السافليين التي يُعلق فيها بنو الأحرار! يدخل الساحر فالفو بحصانه السحري، يلقي نظرة على الموجودين، عيونه تنطق بالشر، وابتسامتهُ خبيثة جداً، بإشارة من يده، انتشرَ ضوء أخضر اللون، اكتسحَ المكان بأكمله، ووصل إلى حواس البشر المعلقين، إلا تياغو الذي انتابهُ الرعب والفزع من المنظر! بدأ يتلفت، يصيح على أخيه ولا يجد إجابة! جمعيهم نيام! وهو المستيقظ الوحيد.

وقفَ الساحر فالفو أمامه، وبإشارة من إصبعه، فكَّ قيدهُ وجعله يقف على الأرض بحرية، وقال مبتسماً:

- كيف حالكَ يا صديقي القديم؟

نظر إليه تياغو باشمئزاز وقال:

- ماذا تريد يا غدَّار؟ هل تظن بأنني نسيتُ مافعلتهُ بي؟ الآن عرفتُ لماذا الأحرار يحاربون السحرة، لأنَّه ليس هناك أمان بينكم، جميعكم تسعونَ خلف مصالحكم، ولا يهمُّ الساحر منكم إن قُتل أو تأذّى أحدٌ من أفراد شعبه.

- أظنُّ بأننا نحتاجٍ أن نتفق.

ضحكَ تياغو بطريقة مستفزة، وقال:

- لا أعلم من أينَ تأتي بهذه الوقاحة؟ نتفقُ على ماذا؟

نظر إليه الساحر بشكل مريب، وقال بهدوء:

- لا تظن بأنني لا أعلم ماذا يدور في هذه الغابة، جميع أحاديثكم أسمعُها يا تياغو! وأعلم بخطتكم الخبيثة. إذا أردتَّ نصيحتي لك، اقبلْ اتّفاقي معك، وإلا سوف أقتلكَ بكل سهولة!

في البداية سكتَ تياغو مفكراً، ولكنَّه ابتسمَ وقال له:

- لن تستطيع قتلي يا فالفو! إذا فعلتَها؛ فسوف تخسر الأمل في كشف السر الذي في جعبة أخي.

- وما الذي يمنعني من قتلكم جميعكم؟

- لأنكَ تحتاج إلى السر: مني أو من أخي، لن تتجرأ على فعلها.

نظر إليه فالفو بحقد، ومن ثم قال له:

- على الأقل اسمع عرضي لك يا تياغو، وأنا أعطيك كلمة شرف بأنني لن أبيعكَ كما فعلتُ في السابق. اتفاقي بسيط وسلس: أريدك أن تجاري أخاك في اتّفاقه معك، وأن تذهب إلى العالم الموازي، وتتصرف على طبيعتك؛ لأنني أعلم بأنّه قد يشعر بجميع أفعالك هناك. ستعيش تجربتك التعيسة من جديد بكل هدوء! وفي اللحظة التي ستغدر فيها بأخيك هناك، أريدك أن تعلم أين خبَّأ السر الآخر! لأنك تعلم ماذا فعل في ذلك الوقت.

- والمقابل؟

- سوف أشاركك الحكم في العالم السحري، لن تكون أعظم ساحرٍ فقط، بل ستشاركني العرش، وستكون كلمتكَ هي الأُولى في مجلس السحرة. سنكمّل بعضنا البعض يا تياغو. وفي نفس الوقت سوف أعطيكَ ما يريده قلبك، أنتَ تعلم عمَّا أتحدثّ... بلير! سوف تنقذها.

اتّسعت عين تياغو دهشة! ومن ثم قال:

- بلير؟ أنقذُها من ماذا؟

- من المرض القاتل الذي أُصيبتْ به من تعويذة ألقيتُها عليها. إنَّها حبيسة في سجن لا يرى النور أبداً، أضعُها هناك كالورقة الرابحة، وكل مخططاتي كانت في محلها. هذه الورقة ومشاركتكَ للحكم معي في عالم الساحرة، سوف يجعلانك توافق على طلباتي.

صرخَ تياغو بأعلى صوته غاضباً:

- إنكَ إنسان قذر يا فالفو!

ضحك رئيس السحرة متفاخراً بأفعاله، ومن ثمَّ قال بثقة كبيرة:

- سوف توافق يا تياغو! انظرْ إلى السماء؛ وسوف توافق.

رفع تياغو رأسه إلى الأعلى، ورأى بلير في غرفة مظلمة كالسجن! تعذَّب بقسوة من قبل السحرة، يربطون يديها بإحكام بواسطة الأغلال الحديدية، تصرخ بأعلى صوتها، ويتلذذ السحرة بكل تعويذة يلقونها عليها.

بإشارة من يد الساحر لفالفو، رجع تياغو إلى حالته الطبيعية، معلقاً على الشجرة.

رحلَ الساحر، وتركهُ وحدهُ يفكر!

في غابة السافليين المشهورة، يقف تياغو وهو حرٌّ طليق دون قيود! يرى أخاهُ المعلق على الشجرة والدماء تسيل منه. لقد مات، وهو من ذبحهُ! يدخل الساحر فالفو بحصانه السحري وهو يصهل، وكأنّه سعيدٌ من أجل سيّده. يقف الساحر أمام تياغو مبتسماً:

- أهلاً بك من جديد، من الواضح أنَّ رحلتكَ إلى العالم الموازي كانت ساحرة! ولكني أرى بأنكَ قتلتَ أخاكَ هذه المرة، ولم تجرحه كالمرة السابقة، لماذا فعلتَها؟

نظر إليه تياغو بجدية كبيرة وقال:

- لديَّ أسبابي يا فالفو؛ فأنا لا أريد وجود أخي في حياتي بعد الآن!

- حسنا...اتّفاقي معك كان من القرارات الصائبة في حياتي، لا أريد أن يطول نقاشنا. أريد إحداثيات سرّ العالم الموازي، فأنتَ كنتَ موجوداً عندما سمعتَ حوار أخيك مع مستشاره!

- لن أعطيكَ شيئاً يا فالفو، إلا عندما أراكَ تنفذ اتّفاقي معك.

ضحك الساحر بصوت عالٍ وخبيث، وأمسك القلادة الساكنة في جوفه، وقال:

- لا يوجد اتّفاق بيني وبينك يا تياغو. أنتَ أغبى مخلوق في الدنيا؛ خدعتكَ مرة ولم تتعلم! ستخبرني بمكان الإحداثيات بكل هدوء، وإلا سوفَ أجعلك تعترف بإرادتكَ من خلال سر هذه القلادة، فأنتَ تعرف بأنَّ مفعولها قويٌّ جداً.

- لقد نفذتُ اتفاقنا يا فالفو، وطلباتي بسيطة جداً! نفذّها لي؛ وسوف تكون الإحداثيات بين يديك. لا أريد سوى أن أكون أعظم ساحرٍ، وأن تُعيدَ لي زوجتي بلير.

صرخ الساحر على تياغو بأعلى صوته، وقال غاضباً:

- لا يوجد اتفاق بيني وبينك، والخيارُ لك. سأمهلكَ دقيقة واحدة لتقرر. إن أخبرتني بمكان الإحداثيات فسوف أترككَ حيّاً، ولكنكَ إذا جعلتني أخرِج منكَ هذه المعلومات من خلال القلادة، فسأذبحكَ بعدها وبدون رحمة.

بدأ تياغو يضحك بطريقة مستفزة، اتّسعت عيون الساحر دهشة، وقال باستغراب وغضب:

- ما المُضحك يا تياغو؟ هل تريد أن تموت.

خفضَ تياغو رأسهُ وهو يضحك، ورفعهُ من جديد وقال:

- هل كنتَ تظن بأنني سوف أجعلكَ تلدغني مرتين يا فالفو؟ أظنُّ بأنكَ لا تعلم سراً صغيراً، وهو أنَّ وقتي في العالم الموازي لم ينتهِ بعدا!

ازدادَ توتّر فالفو وبدا واضحاً كالشمس، وقال:

- ماذا؟ ماذا تقصد؟ هل تتحداني يا تياغو؟ هل تريد...

ولم يستطع أن يكمل عبارتهُ؛ لأنَّ دماءه بدأت تسيل على الأرض! قال مصدوماً وهو يسقط على الأرض:

- ولكن كيفَ... كيف فعلتَها؟

أمسكَ تياغو فالفو من رأسه بكل قوة، وقالَ له:

- قلتُها سابقاً وسأقولها الآن: الطعنة لن تأتيكَ إلا من شخص قريب منك، أو من شخص لن تتوقع أن يفعلها. في اللحظة التي ذبحتُ فيها أخي، أمرت نفسي في العالم الموازي أن تقتلك بعدها، وبنفس السيف الذي قُتل من خلاله أخي. كنتَ الشخص الذي لا تتوقع أن يفعلها بك! كل ما يحدث الآن هو اتّفاق بين نفسي الحالية، والنفس الأخرى الموجودة في العالم الموازي! قل لي: أين سأجد بلير؟

ضحكَ فالفو محافظاً على كبريائه وغروره حتى آخر لحظة، قالَ والدماء تخرج من فمه:

- بلير تتعذب في مكان ما يا تياغو، وسوف تموت في النهاية! ولن تستطيع أن تصل إليها، وسيختفي مكانها باختفائي؛ لأنَّ جميع الجنود الذين عذّبوها قد ذُبحوا بيدي! فارقوا الحياة، ولن يدليك على مكانها أحد. ماتَ الساحر المشهور ذو القلب الأسود، فأخذ تياغو القلادة منه بعدما جعلته ينزف ويموت، كما فعل مع أخيه، وضع القلادة حول عنقه، وجعل من نفسه حاكماً للعالم.

يومُنا الحالي

ارتشفت جولييت كوب قهوتها، الكافيين الذي أدخلتهُ إلى جسدها من الممكن أن يبقيها صاحية مدة أسبوع كامل! قالت بنبرة تشويقية وحائرة، وهي تقرأ الذي كتبهُ إبليس لحظة بلحظة:

- أنا لا أفهم يا إبليس! ما الذي يجعل الساحر فالفو لا يكشف مكان الساحرة بلير؟ فهو قد مات، لما لم يفكر أن يصحح ولو خطأ بسيطاً في حياته؟

نظر إبليس إلى الأفق البعيد، وقال لها:

- المعلومة التي لم أذكرها حتى الآن، أنَّ صلة القرابة بين بلير وفالفو قوية جداً! لقد كانت ابنته! وسخَّرها لأعمال عالم السحر، ومن أشهر أعماله، الإطاحة بأخ رئيس الأحرار! ولكنّها أحبّته في النهاية!

ظهرَ الحزن والضيق على وجه جولييت، وقالت متأثرة:

- يا إلهي! لا أظنُّ بأن الساحر فالفو يمتلك قلباً، كيفَ يفعل ذلك مع ابنته! أكاد أجنّ من هذه المعلومات المهوّلة! كيف يوجد العالم الموازي ولم أسمع عنه من قبل؟ هناك الكثير من الحكايات والروايات التي قرأتها في سنواتي الماضية، ولكن دائماً ما تكون متعلقة بالخيال العلمي، وربما هذا العالم كان خيالاً بالنسبة لمجموعة كبيرة من الناس.

- هناك أسرار في الكون لا يوجد تفسيرٌ لها لدى البشر، ودائماً ما تُدرج في خانة الخيال العلمي.

- أرجوك... أخبرني ما النهاية؟ كيف سيكون شكلها؟ لا أستطيع أن أنتظر أكثر من هذا! أريد أن أعرف الأسباب التي جعلت تياغو يقتل أخاهُ بهذه الطريقة.

ضحكَ إبليس، وقال لها:

- ألا تريدينَ أن أساعدكِ في إيجاد جون؟

قالت له مستغربة:

- من هو جون؟

- صديقك يا جولييت!

ضربتْ يدها على رأسها، شعرت بحجمِ غبائها وسهوّها عن هدفها:

- يا إلهي جون! لقد نسيتهُ بسببِ قصتكَ الغريبة! أرجوك، أخبرني ما النهاية يا إبليس؟

أمسكَ إبليس قلم الريشة الخاص به، وقال وهو يكتب:

- عليكِ أن تصبري يا عزيزتي، فأنتِ أمام كلمات إبليس التي لا تتكرر في زمننا الحالي!

وقفتُ بعد طيراني على ذروة أعلى الجبال في العالم، ألمسُ قلادة السافليين التي أصبحتْ ملكاً لي، واسأل نفسي عن حجم الأشياء المبهرة التي أستطيع فعلها من خلالها! جميع ما فعلتهُ حدثَ لسببٍ ما. في بداية حكايتي عندما قررتُ أن أرتدَ عن عالم الأحرار وأن أدخلَ عالم السحرة، أخذتُ هذا القرار بكامل عقلي، فالعالم فيه الخير والشر، حتى لو كان تصنيف السحرة ضمن خانة الأشرار، فأنا لم لا أمانع بذلك! جميعنا نمتلك دوافع تقودنا إلى ما تنبض به قلوبنا. لو أخذنا الموضوع بالهوايات، فسنرى العديد من الناس لديهم شغفٌ بأشياء من الممكن أن نراها تافهة! ولو أخذنا الدراسة في تخصص ما، فهناك العديد من العلوم المختلفة، وكل واحدة منها تضم كمية كبيرة من الناس المولعة بها! فما بالكم عندما أتحدث عن تحديد مصير حياتي بأكملها! لم أعشق المطاردة اليومية بين الأحرار والسحرة. في كل مرة يموت أو يُسجن ساحرٌ ما، أشعر بغصة في قلبي! لا أشفقُ عليهم، بل أريد مساعدتهم بكل ما أوتيتُ من قوة. أنا خُلقت لكي أكون ساحراً! ولكن للأسف لم أجد من يأخذ بيدي إلى الطريق الصحيح. فالساحر فالفو جعل مني أضحوكة بألاعيبه المخزية. ولكني لم أتعرف عليه إلا بمساعدة الساحرة بليرا حبيبتي وزوجتي التي دخلت حياتي لتبعثرها بالأكاذيب الخادعة! ولكني أعلم بأنّها أحبّتني في نهاية المطاف، ولقد استغلّها والدها فالفو في مخططه الشرير. لقد كانت ضحية حالها كحالي، ولكن لربما تكون دوافعي تجاه قتل أخي مريبة، ولا يمكن تفسيرها! ببساطة أردتُ الانتقام! فطوال سنوات حياتي وأنا أقف بجانبه في عالم الأحرار، كان ينظر إلي كشيء صغير! لا يمكنه فعل شيء. كنتُ أملك طاقات جبارة، ولكن اعتمادهُ على مستشاريهِ وتهميشي رغم أنني أخوه، زرعَ في داخلي كرهاً كبيراً لهُ ولهم! ومازادَ هذه الكراهية هو وقوفه في وجهي عندما قررتُ أن أصبحَ ساحراً. لن أنسى طالما حييتُ زجّه لي في سجن السافليين! حجم التعذيب والإهانة التي تلقّيتها، لا أتوقع بأنني سوف أنساها طالما حييتُ! مكتبة ضاد

رسمتُ خطة في ذهني: أن أتفق مع الساحر فالفو، وفي نفس الوقت أعلم بأنه سيغدر بي كما فعل في المرة الأولى! وفي نفس السياق سوف أبيّن لأخي ليو بأنني نادم! إلى أن أستولي على قلادته السحرية. هذه الأفكار لم تكن قديمة جداً، إنّها كباب فرج فُتحَ لي، عندما قرّر أخي أن يثق بي من جديد، وأن يعطيني سره المكوّن في العالم الموازي! هنا شعرتُ بأن الكرة في ملعبي، وأستطيع تحريك أخي والساحر كالدمى. عاهدتُ نفسي بأنني لن أعيد الكرة وأرتكب أخطاءً غبيّة. واتّخذتُ كل هذه القرارات لكي أشرّع نفسي حاكماً لعالم السحرة، وربما للعالم بأكمله في وقت لاحق.

عندما قتلتُهم وأخذتُ القلادة، عقدتُ اتّفاقاً مع الشيطان الأكبر، وصرتُ الجندي المفضَّل عندهُ بسبب القلادة وقوتها في التأثير على البشر! فأمدّني بقوة كبيرة وبجيش لا يرحم. اجتمعتْ مع كل السحرة في العالم، من صغارهم إلى كبارهم، وأقسموا لي بالولاء والطاعة، ولكني لم أنسَ موضوع زوجتي بلير! كلّفتهم جميعاً بأن يبحثوا عنها في كل أرجاء العالم، ومن يستطيع إيجادها سوف يحظى بقوة وبدعم عظيمَيْن، وسأزوّجهُ بسبعٍ من الساحرات الفاتنات القويات. وهذا العرض كان مغرياً جداً لمعشر السحرة، كنتُ متأكداً بأنّهم سوف يحفرون أراضي العالم أجمع في سبيل أن يجدوا لي الساحرة بلير.

في هذه اللحظة، قررتُ أن أغادر المكان. فموقع الإحداثيات ذاك الذي يوجد فيه السر مرسومٌ في ذهني! طرتُ بلمح البصر إلى الموقع، هبطتُّ في صحراء كبيرة وهادئة، مليئة بالجبال الرملية، كنتُ أقف في المكان المنشود، أغمضتُّ عيني لثانية وفتحتها؛ فوجدتُ أحدَ السحرة الذين عيّنتهم لخدمتي، يقف أمامي ويقول بكل خضوع:

- لقد وجدتُ الساحرة بلير يا سيدي! إنّها محبوسة في إحدى الكهوف البعيدة، وحالتها لا تبدو على ما يرام.

سلّمني إحداثيات المكان في ورقة صفراء اللون، نظرتُ إليها سريعاً، وخبأتُها في جيبي، وقلتُ له مشجعاً:

- لقد انتصرتَ لي! وعندما أعدُ فأنا أفي بوعدي!

خرج من جسدي شعاعٌ بنفسجي اللون، ودخل إلى روحه، وأمدَّهُ بالقوة الكبيرة التي وعدتهُ بها. وبغمضة عين، جلبتُ له سبع ساحرات، وقفنَ خلفه الآن بجمالهنَّ الطاغي، وبقوتهنَّ الكبيرة. جميعهنَّ عاريات واثقات بأنفسهن. في عالم السحرة، الساحرات لا يرغبنَ في ارتداء أيَّة ملابس! بانت علامات السعادة على وجه خادمي، وشكرني كثيراً، فأمرتُ الجميع أن يحفروا مكان الإحداثيات بالسر قبل أن يغادروا.

حفروا لمدة طويلة! أظنُّ بأنَّ سراً قد دُفن هنا في عمق كبير! توقفوا وأخرجوا صندوقاً أسود اللون، يشعُّ بطريقة غريبة! رُسمتْ عليه حروف لم أرَها من قبل، يبدو عليه أنَّهُ قديم جداً، ولكنَّه رغم دفنه في أعمق الأماكن، يبدو لي في حالة جيدة. بإشارة من يدي، صرفتُ السحرة من المكان. وضعتُ الصندوق على الأرض وفتحته، وجدتُ مخطوطة العالم الموازي! رفعتُها إلى الأعلى وتفحّصت كلماتها المكتوبة بصيغة واضحة بلا تعقيد. أغمضتُ عيوني وبدأتُ أردد كلمات المخطوطة، وسرعان ما شعرتُ بإحساس غريب وجديد! سقطتُّ على الأرض أتألم! قلبي يدق بسرعة كبيرة!

وجسدي كأنَّه سوف ينفجر في أية لحظة. هناك طاقة قوية دخلتْ إلى جسدي، أشعر بها بكل حواسي، وعندما نهضتُ من جديد، عرفتُ بأنَّ سرَّ العالم الموازي أصبح يسكن جسدي، أستطيع أن أستخدمه في أي وقت أريده.

وضعتُ المخطوطة في جيبي، وكنتُ أريد أن أرحل! ولكن هناك حدسٌ ما أوقفني. أمسكتُ الصندوق من جديد وتفحصتهُ بعناية، فاكتشفتُ أنَّ في عمقهِ يوجدُ مخبأ سرّي! فتحتهُ بعد محاولات عديدة، فوجدتُ مخطوطة أُخرى، وبجانبها زجاجة كريستالية صغيرة مشعّة وكأنّها ألماسة نادرة، وداخلها يوجد حبيبات رملية صفراء اللون! قرأتُ المخطوطة فشُلّت حركتي من صدمتي! هناك سرٌّ ثالث غير القلادة والعالم الموازي! وهذا السرّ لم أعتقد بأنه موجود في هذا العالم. فتحت الزجاجة الكريستالية، وجرحتُ نفسي إلى أن سقطت قطرات دمي داخل الزجاجة، أغلقتها وسرعانَ ما تحوَّل لون الحبيبات الترابية من الأصفر إلى الأبيض المشعّ! قررتُ أن أحتفظ بالزجاجة في جيبي. وضعتُ المخطوطات في الصندوق من جديد، وقررتُ أن أذهب إلى مكان ما. وبلمح البصر، وصلتُ إلى هناك برفقة الصندوق.

كنتُ أقف في إحدى المقابر، لقد دفنتُ أخي فيها احتراماً له لا أكثر. تمعنتُ في شاهدة القبر المكتوب عليها اسم: مارك. لقد غيرتُ اسمهُ؛ فأنا لا أريد أحداً أن يجد هذا القبر. ابتسمتُ لأنني انتصرتُ عليه رغم ضعفي أمامه في السنوات الفائتة.

- أعلمُ بأنَّ ما فعلتهُ بكَ كان مخزياً، ولكنني لم أملك خياراً آخر يا أخي! فأنتَ من جعلتني هذا التياغو! أنتَ من ظلمتني ولم تحترمني قط. صحيح أنَّكَ كنتَ تسامحني على أخطائي، ولكن هذا لم يكن كافياً أبداً. في الواقع لم آتِ إلى هنا للزيارة، ولكني آتيتُ لغرض ما، وأنا أعتذر منكَ لما سوف أفعله الآن.

لقد دفنتهُ في هذا المكان، وغيرتُ الاسم على الشاهدة، لاعتقادي بأنني سوف أحتاج إليه يوماً ما! والحاجة ظهرت سريعاً. بدأتُ أحفر القبر دون أن أحترم الميت. رأيتُ جسده الممدَّد، شعرتُ بأنَّه سوف ينهض من الموت ويقتلني! ولكنني لم أعره أيَّ إهتمام. ودفنتُ الصندوق التي يحتوي على المخطوطات السرية معه، هناك سوف يرقد أخي مع أسراري التي لن يجدها أحد أبداً.

بقيَ لي مكان واحد، لابد أن أوجدَ فيه، محطة أخيرة ومُلحَّة!

إنَّهُ كهف مدخلهُ ضيق جداً، موجود في مكان بعيد عن البشر أجمعين! هذا هو السجن الذي حُبست فيه زوجتي بلير! طلبتُ من خادميَّ السحرة تأمين المكان بكل حذر. لا أريد أن أقع في فخٍّ ما! دخلتُ إلى الكهف، مدخله واسعٌ جداً، مظلم! الخفافيش في كل مكان! والفئران تتخذُ المكان مهجعاً لها. نزلتُ بضع درجات في السلم الصخري؛ فوجدتُها ترقد على سرير متهالك في زاوية المكان! مقيدة بالسلاسل. إنها نائمة، تأملتُ وجهها، فلم أعرفها كبلير الساحرة الجميلة! ملامحها متغيّرة! والغبار ينتشر على بشرتها وجسدها بأكمله! الجفاف واضح في شفاهها المتآكلة! لقد فقدت أنوثتها الطاغية في هذا السجن المظلم!

فككتُ قيودها إلى أن أصبحت حرة! استيقظت بصعوبة، وقالت بصدمة كبيرة:

- هل أنا أحلم؟ تياغو! هذا أنت؟

داعبتُ شعرها، وقلتُ لها مبتسماً:

- نعم يا بلير! أخيراً وجدتكِ!

لم تستطع أن تنهض من مكانها، وأنا أصريتُ أن ترقد كما هي، فقالت لي:

- ولكن كيف؟ ما الذي حدث؟

- لا داعي لكي نتكلم في الماضي يا بلير! ببساطة وجدتُ طريقة جعلتني أقوى السحرة في العالم، وإن كنتِ تسألين عن أبيك فهو ميت!

لم أرَ ملامح صدمة على وجهها ولا حزن، فقالت وهي تسعل بقوة:

- لن أحزن عليه أبداً، فما فعله بي لا يُغتفر! أنا آسفة يا تياغو، صحيح بأنني كنتُ مشتركة في هذه الجريمة منذ البداية، ولكني أحببتك بكل مشاعري وجوارحي! ولم تمر ليلة في هذا السجن إلا وقد فكرتُ بك. كنتُ مستعدة أن أتنازل عن كل شيء: قوتي كساحرة حبسوها بين هذه الأغلال الحديدية بتعويذة ما! وحياتي وعالم السحرة، ولكني لا أستطيع أن أتنازل عنك، أنتَ حب حياتي. ولكني لا أظنُّ بأنني أستطيع أن أجد الوقت الكافي لفعل هذا!

قلتُ لها بكل استغراب:

- ماذا تقصدين يا بلير؟

- أبي فالفو وضعَ لي تعويذة تسري في جسدي، إنَّها سامة! وأنا أنتظر موعد رحيلي عن هذه الدنيا في أية ثانية. أنا ميتة لا محالة يا تياغو! ولا أريدكَ أن تحزن، فأنتَ ليسَ في يدك أي شيء!

في هذه اللحظة، وضعتُ يدي على جيبي، وتذكرتُ السر الآخر الذي وجدتهُ في الصندوق! إنَّهُ سر الخلود! مَن سيأكل هذه الرمال السحرية، سوف يكون خالداً إلى الأبد! أخرجتُها ووضعتُها أمامها، فسألتني مستغربة:

- ما الذي تحمله يا عزيزي؟

شرحتُ لها كل ماحدث، وكيف حصلتُ على كل الأسرار، إلى أن وصلنا إلى نقطة الخلود! برقت عيونها لأنَّها عرفت بأنني سوف أنقذها. قلتُ لها مشجعاً:

- لن تموتي يا بليرا! تستطيعين أن تعيشي إلى نهاية هذا العالم. أنا أستطيع إنقاذك، وسوف نعيش مرحلة جديدة في حياتنا. أنا أعظم ساحر، وبرفقتي زوجتي الجميلة.

لربما كلماتي وتشجيعي زرعا فيها القوة والأمل! لأنَّها نهضت وحضنتني بطريقة لا أستطيع وصفها! وكأنَّها طفلة فقدت والدتها منذ سنوات، وأتى ذاك اليوم الذي اجتمعتَا فيه مع بعضهما البعض.

حضنتُها أنا أيضاً! شممتُ رائحة شعرها الذي أعشقه. صحيح أنَّهُ تغيَّر بسبب سجنها في هذا المكان الموحش، ولكني شعرتُ برائحته المغرية التي أعرفها.

فجأة، شهقنا نحن الاثنين! بانَ الألم على ملامحي وملامحها، سقطنا على الأرض بقوة... موقف واحد غيَّر كل شيء! سالت الدماء على الأرض بغزارة، وستصعد الروح من الجسد! وسيحين الفراق بين الأحباء!

نظرتُ إليها وأنا أسقط معها على الأرض اليابسة، فقالت لي متألمة:

- أنا أحبكَ يا تياغو!

فرددتُ عليها بنفس درجة الألم:

- وأنا أيضاً يا بليرا!

زارَنا الموت في المكان، وأخذ معه جميع الذكريات والمواقف والحب العميق،

تضحيات كثيرة! وآمال عظيمة! والمصير واحد!

يومُنا الحالي

استمرَّ إبليس بكتابة مخطوطاته الثمينة، وهو يضحك عالياً مع تصاعد الأحداث، ونظرتْ جولييت إلى حروفه بدهشة! أصابها التعب والإرهاق وقالت:

- سوف أجنُّ يا إبليس، أنا أحتاج إلى الراحة!

رمت جسدها المتهالك على السرير، وغطت في سبات عميق! أكملَ إبليس مخطوطاته، أرادَ أن ينهيها إلى الأبد:

- حصل تياغو على نصره الأكبر، واستولى على جميع الأسرار، وعندما وجد زوجته الساحرة بلير ذهبَ إليها لغرض واحد: أعطاها الأمل بسرّ الخلود، الذي سيجعلها تُشفى من تعويذة المرض التي أصابتها وتعيش سعيدة. سقطا على الأرض سويَّة؛ بسبب خنجر سام وغادر ضربها! سالت دماء بلير، وباحت بكل ما تكنّهُ في قلبها من حب وعشق لتياغو، ولكنه لم يهتزّ أبداً، وكيف يهتز وهو من قتلها! وبعد ذلك أخذ سرَّ الخلود لنفسه، وقررَ أن يحيا في الأرض حتى فناء الكون.

هذا كانت سبب زيارته لها، كان يريد الانتقام منها! فهي من شاركت أباها في زجّهِ في تجربة مرعبة، أحسّ خلالها بأنّه كالفأر! يلعبان به يميناً وشمالاً، رغم حبّه لها، ورغم تأكّده بأنّها شعرت بالذنب، وعشقته! إلّا أنه لم يستطع أن يثق بها أبدا. فتياغو يسير مع عقله، ويرفض الاستماع إلى قلبه! تعلَّم من دروس الماضي بأنَّه لا يستطيع أن يجعل من الخونة أصدقاء وعائلة لهُ. ذبحَ أخاهُ، وقلبَ الطاولة على الساحر فالفو، وأخيراً، جعل زوجتهُ تفارق الدنيا بالخنجر السام!

بدأ مرحلته في السطوة على الأرض بكل قوة! كان صلباً جداً، لا يرحم. استطاعَ أن ينصر معشر السحرة على البشر أجمعين، بسبب امتلاكه للقلادة السحرية التي كانت تستطيع أن تقلب حال أيّ إنسان في العالم، فمصدر قوّته يكمن في الأسرار التي سقطت بين يديه.

تقرَّبَ من الشيطان الأكبر، وأصبحَ ذراعه اليمين! وكيف لا وهو يملك ثلاثة أسرار قادرة على الإطاحة بالشيطان نفسه لو تشكَّل كالبشر! أصبحَ القائد الأول في العالم، جميع طلباته مجابة، يملك تحت جناحيه جيشاً من السحرة والخادمين لا يعدُّون ولا يحصون! تزوّج بألفٍ وثلاثمائة وأربعين ساحرة! ولكنّه لم ينجب قط! لم يعشق فكرة أن يُنجبَ طفلاً من الممكن أن يُصبحَ نقطة ضعفه. وهو لا يريد أن يمنحَ عدوّه فرصة للتسلل إلى نقطة ضعفه، ويريد أن يبقى قوياً لا يقهر.

ترك خلفهُ اسماً محترماً، وإنجازات عظيمة لعالم السحرة! لقبُ السافليين لم يعد مرتبطاً بالسحرة، وتمَّ حرق غابة السافليين وهدم السجن أيضا.

عَلمَ تياغو بأنَّه يحظى بقوة كبيرة جداً، بسبب الأسرار التي وقعت بين يديه! فشاركَ دولاً عديدة في الحروب المشهورة. غيَّر تفاصيل دقيقة عبر سر العالم الموازي! كثيرٌ من الأخطاء الفادحة وباهظة الثمن التي ارتكبتْها بعض الدول، سرعان ما تتعّدل وتتغيّر بمساعدة تياغو. وسرّه الموازي ساعدَ تلك الدول على احتلال دول معادية، وجعلَها تضعُ يدها على البترول والموارد الطبيعية والأموال والذهب. لقد كان طاغية بكل معنى الكلمة!

استمرَّ بالتحالف مع الشيطان الأكبر مئات السنين، إلى أن وصل إلى مرحلة غريبة! شعرَ خلالها بأنَّهُ وبعد عشرات السنوات يريد ترك عالم السحرة! ويريد إعادة الحياة بشكلها الطبيعي، ولكن بشروطه الخاصة! بعد مناقشات كثيرة مع الشيطان الأكبر، اتّفقا أن يكون العالم متشاركاً نوعاً ما بين البشر والسحرة. لكنَّ السحرة يملكون فيه صلاحيات أكبر، إنهم كالملوك! إذا كانوا يريدون الحرب على شخص ما فسيفعلون، طالما أنّهم يأخذون النصيب الأكبر من الحياة؛ فهم سعداء.

تمَّ فتح العديد من مدارس السحرة، وتزايدَ تسجيل أبناء البشر في هذه المدارس مع الأيام؛ فهناك فئة كبيرة تهوى السحر، ولكنها تخاف أن تُهاجم من قبل جماعة الأحرار الذين أصبحوا غير موجودين إطلاقاً في عهد تياغو!

أخيراً اتّفقَ تياغو مع الشيطان الأكبر أن يوظفا ساحراً يظنُّ أنَّهُ مناسب لهذه الوظيفة، يحكم العالم الخاص بالسحرة بشروط تياغو، ولا يتجرأ أن يقدم على فكرة إلا بعد أخذ الموافقة منه. وافقَ الشيطان على كل شروطه المصاحبة بأسراره التي لن يفرّط بها، ولكنه وقّع عقداً بأن يكون موجوداً إذا احتاجهُ الشيطان يوماً ما. وأخيراً اشترطَ عليه ألّا يكشف حقيقته لأحد، أن يعيش بين الناس حاله حال البشر، لا يرتبط بأحد، ولا يسمح لقلبه أن يدقَّ لأحد من جنس البشر حتى زوال هذه الدنيا. وتمَّ الاتفاق بتراضٍ تام بين الطرفين.

تمَّ تكريم تياغو من قبل الشيطان الأكبر، وأهداهُ اسماً ثميناً جداً! ارتبطَ بمجموعة من أسماء الشيطان الأكبر منذ بداية العالم. لقد كان الاسم: ساتان.

أصبحَ تياغو يُلقب بملك الظلام ساتان! إلى هنا، وتنتهي هذه الحكاية التي حُرفت كثيراً عبر السنوات من قبل البشر وبعض السحرة.

وضعَ إبليس قلمهُ مُنهياً مخطوطهُ، وخبَّأ جميع المخطوطات في ملفٍّ كبير وأسود

اللون. جلسَ إلى جانب الفتاة جولييت النائمة على السرير، ابتسمَ لها، بدأ يتلمَّس شعرها الناعم. فتحت عيونها مستغربة من وجوده إلى جانبها، فقالت له:

- ماذا تفعل يا إبليس؟.

وضعَ يده على فمها وأنفها بقوة كبيرة! حاولت أن تنقذ نفسها من هذا الموقف وأن تتنفس كيلا تفارق الحياة ولكنها عجزت. اقتربَ منها، ولمعت عيونه شراً وقال:

- أنا لستُ إبليس... أنا تياغو! الملقب بملك الظلام ساتان!

فارقت الفتاة الحياة بعيونها المندهشة والمصدومة من الحقيقة! لقد ذبحَها لكي لا يُبطل العقد المتفق عليه مع الشيطان الأكبر، فشخصيتهُ لابد أن تكون مجهولة! ولم يُدخل هذه الفتاة إلى حياته إلا لتسليته، فهو يعاني من الوحدة الأزلية!

نهضَ من مكانه، ووقفَ على شرفة الغرفة، وصرخَ بأعلى صوته بكل كبرياء وقوة:

- أنا ساتان... ملك الظلام!

تمت

3 فبراير 2020

الثانية فجراً.

---

(1) محاكمات سالم: سلسلة من جلسات الاستماع والمحاكمات للأشخاص المتهمين بممارسة السحر في ماساتشوستس المستعمرة.

(2) الإكليروس: هو النظام الكهنوتي الخاص بالكنائس المسيحية.

(3) موقف حقيقي حدثَ مع الكاتب.

(4) انتهى الموقف الحقيقي للكاتب.

(5) موقف حقيقي للكاتب.

(6) انتهى الموقف الحقيقي للكاتب.

ساتان

-مخطوطات ابليس-

حكاية تاريخية وقديمة تم تحريفها من قبل العديد من البشر، يدونها ويحكيها ابليس بنفسه لأول مرة بجميع تفاصيلها الأصلية.

هي حكاية الحرب الأبدية بين البشر والسحرة، كيف لهذا الكون أن يعيش عليه أكثر من سبعة مليارات نسمة، وشخص واحداً فقط وبحركة بسيطة منه، يغير قوانين الطبيعة ويجعل السحرة يحتلون العالم بقوانينهم الجديدة التي تتعارض مع البشر الذين حاربوا السحر منذ قرون طويلة.

من هو ذاك الشخص؟ وماهي غلطته الشنيعة التي رجحت كفة السحرة على البشر؟

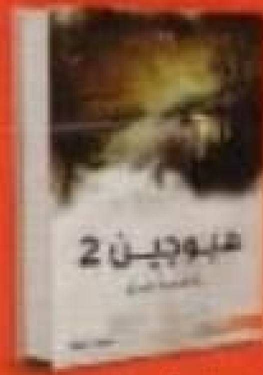
لكل من يقرأ هذه الكلمات إحذر...

فأنت سوف تكون وسط مخطوطات إبليس الكبير!

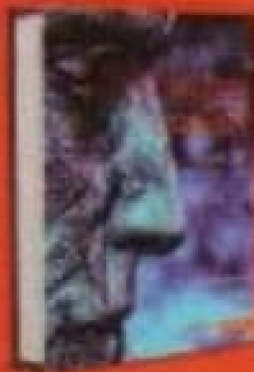
محمد جمال

m_j89 mayaj89 mohammed89jamal

اصدارات الكاتب:











نوفا بلس للنشر والتوزيع
NOVA PLUS FOR PUBLISHING AND DISTRIBUTION
www.novapluskw.com @novakw